كتاب الهلال



أضواء على الأدب الصهيونى المعاصر

ابراهيم البحراوى

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : يوسف السباعي

رئيس التحرير : صالح جودت

المشرف الفني : جمال قطب

سكرتير التحرير : عايد عياد

العدد ٢٥٧ ـ ربيع الثاني ١٣٩٢ يونيه ١٩٧٢

No. 257 — Juin 1972

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ ـ فى سائر انحاء العالم ٥ر٥ دولارات امريكية او ٢ جنيه ـ والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية ـ والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل عند الطلب على الاسعار المحددة ..

كتاب الهلال





سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــــــلاف بريشـــــة
الفنـــــان جمـــــال قطب

إبراهيم البحراوى

أضواء على الأدب الصهيونى المعاصر

دار الهلال


MOHAMED KHATAB

مقدمة

ليس من هو اشد منا حاجة الى دراسة الانسان الاسرائيلى ، والتعرف على مكوناته الشخصية وزوايا استثارته واستجابته .

ان هذه المهمة التى سبق اليها العدو الاسرائيلى عندما توفر باحثوه فى شتى ميادين الدراسات الانسانية على جمع وتحليل المعلومات والبيانات عن الشخصية العربية فى مختلف فئاتها وقطاعاتها عبر كل ما يمكن من مصادر فى مقدمتها المعايشة الحية للمجتمع العربى قبل قيام دولة اسرائيل ، والانصراف الى استقاء المعلومات النفسية والاجتماعية بعد قيام الدولة ، من الدراسات المختلفة ومن الانتاج الادبى العربى فى شتى فنونه وعلى اختلاف مستويات كتابه.. هذه المهمة آن لها أن تحظى على الجانب العربى باهتمام مماثل ، بل ومضاعف ، حيث أن ميزة المعايشة الدارسة الفاحصة للانسان الاسرائيلى فى مجتمعه مفقودة بالنسبة لنا على المستوى العام .

ان الاهتمام العربى بالدراسة الجادة لمناحى الحياة الاسرائيلية لم يبدأ الا من سنوات قليلة ، ولذا فان نظرة فاحصة على حصيلة الدراسات العربية التى تمت حتى الآن فى هذا الصدد ، تجعلنا نخرج بنتيجة

واضحة هي ان جهد الباحث العربي كله منصب على دراسة الظواهر الكلية في المجتمع الاسرائيلي ، فهناك دراسات حول البنية السياسية العامة لهذا المجتمع واحزابه ومؤسساته السياسية ، وهناك دراسات تتناول البنية الاقتصادية العامة له .. تتفرع الى تناول مؤسساته الاقتصادية المختلفة كل على حدة ، وهناك بحوث في ميدان الدراسات السكانية ، نلتقي فيها بتناول للهيكل السكاني العام وحركة الهجرة والنزوح ، وهناك دراسات تعرض للنواحي التاريخية في منشا الدولة الاسرائيلية والاتجاهات المذهبية والفكرية التي تعتمل في داخلها ، وهناك من الدراسات ما يمس جوهر السياسة الخارجية في اسرائيل وطرق صنعها ووسائل الاعلام عنها وما الى ذلك من النواحي العامة في حياة المجتمع الاسرائيلي .

***

وهكذا نجد ان اهتمامنا ما زال محصورا في دراسة الظواهر الكلية في هذا المجتمع في حين انه لم تجر حتى الآن محاولة واحدة من جانب متخصص عربي في احد جوانب الشئون الاسرائيلية في اتجاه الكشف عن الظواهر الدفينة غير المرئية عبر الدراسات الكلية التي تمت حتى الآن .

ان القصد هنا متجه الى الديناميكية الداخلية لنفس الفرد الاسرائيلي في درجاته الاجتماعية المختلفة اقبالا واعراضا ، تحمسا وفتورا ، تراخيا وتشددا ، تجبرا وانكسارا ، عزلة وانفتاحا (١)

---

(١) بعد انتهاء الكاتب من تاليف هذا الكتاب .. صدرت دراسة قيمة عن الشخصية الاسرائيلية للاستاذ قدري حفني عن مركز الدراسات الفلسطينية بالاهرام ، ومع ذلك فهي لاتغني عن دعوة الكاتب في المقدمة .

هـذه الدينـاميكية التى هى فى حقيقتهـا حصـيلة للعـلاقة الجدليـة بين الظواهـر الـكلية فى المجتمـع الاسرائيلى وكل المجتمعات ، وبين ذاتية الفرد فى مختلف قطاعاته .

***

ان الاقتصـار على دراسـة الـكليات يقعـد بنـا عند حد فهم ما هو ظاهر من الحركة الـكلية فى مجتمع العـدو ، لانه لا يتيح لنا بحال معرفة اكيدة بتجاوبات الفرد الاسرائيلى فى فئاته الاجتماعية والجيلية المختلفة سـلبا وايجابا مع الحركة الـكلية ، وبالتالى يقعد بنا قصـور الفهم هـذا عن الوقوف على مداخل النفـاذ الى النفس الاسرائيلية التى لايمكن الوقوف عليهـا الا بمعـرفة تجاوباتها مع الحركات الـكلية فى مجتمعهـا بحيث يمكننـا من خـلال هـذه المعرفة تحديد زوايا الاستجابة والاستثارة سلبا وايجابا فى هـذه النفس على تدرج مستوياتها من خلال اجراء القياس على تجاوبها مع حركة مجتمعها .

وبعبـارة أوضح ان رغبتنـا فى تحقيق تأثير فعـال لدى الانسـان الاسرائيـلى فى ميـدان التنوير بعـدالة موقفنا والحرب النفسية من ناحية ، والتنبـؤ بحركته قبـل أن تصـدر الى حيز الفعـل من ناحية أخرى ، أمر يستحيل تحقيقه دون اخضاع هذا الانسان للفحص والتحليل النفسى الاجتماعى على أساس نوع استجابته لـما يدور فى مجتمعه من حركة عامة ، وبالتالى يسهل علينا تحديد المنافذ التى يمكننا سلوكها للتاثير فيه .

ولست بهذه المقدمة ادعى القدرة على التصدى لهذه المهمة فهى واقعة فى اختصـاص البـاحثين النفسـيين والاجتمـاعيين وهى مهمة تقتضى سـنوات من البحث

والمتابعة ولكن ما أردت اثارته بهذه المقدمة انما هو لفت النظر الى اهمية هذا الجانب المغفل فى دراستنا للعدو ، بالاضافة الى شق مدخل الى طريق هذا النوع من الدراسة بالمعلومات التى أقدمها عن الانسان الاسرائيلى وتجاوباته مع حركة مجتمعه العامة منذ حرب ١٩٦٧ من خلال ما توفر لى من انتاج أدبى عبرى منشور فى اسرائيل بين سنوات ١٩٦٧/١٩٧٠

***

فى هذا الكتاب عمدت الى تقديم نماذج ممثلة بالفعل لكل مضامين الادب العبرى فى هذه السنوات تسليما منى وادراكا بأن أحد الطرق الهامة المفتوحة أمامنا لاستقاء معلومات نفسية عن الانسان الاسرائيلى انما هو طريق الادب .. طريق الاديب الاسرائيلى الذى يوفر لنا امكانية ما لتحقيق المهمة المشار اليها بما يقدمه من تجاوبات ادبية سلبا وايجابا مع الواقع النفسى الدقيق الذى خلقته الحرب فى اسرائيل ، وهو الواقع الذى لا يقدر على رصده والاشارة القاطعة الى حقيقة ابعاده سوى الاديب الذى يعايش ذلك المجتمع كجزء منه ينفعل بقضايا واقعة ، ويتمثلها من خلال الرؤية الادبية التلقائية او الموجهة والتى تتميز فى عمومها عن رؤية الانسان العادى بعمق النفاذ الى الاغوار ، واستبصار ادق الاعتلاجات التى قد تغيب عن المراقب العادى لمجريات الامور .

***

من اللازم ان نشير ابتداء الى حقيقة لا ينبغى ان تفوتنا وهى ان قطاعا كبيرا من الادب فى اسرائيل خاضع للتوجيه فالادب هناك يلعب دوره كاحد وسائل الاعلام الراقبة الخفية من ناحية ، ويقوم بدور المعالج

للترديات النفسية التى يلاحظها الاديب الملتزم فى مجتمعه من ناحية اخرى .

وهذه الحقيقة تكفل لباحثينا ميزة كبيرة فى محاولة دراسة الانسان الاسرائيلى من خلال الانتاج الادبى .

فطالما ان الاديب الاسرائيلى يلجأ الى علاج الترديات السيكلوجية التى يلحظها لدى جماهيره أو قطاعات معينة فيها ، فانه يحرص على سلوك الطريق الذى يوفر له مدخلا صحيحا الى زاوية الاستجابة فى نفوس قرائه .. الامر الذى يدركه من خلال المعايشة .. وبالتالى فان اجراء القياسات النفسية من جانب باحثينا النفسيين على مضمون العلاج الذى يقدمه الاديب وعلى العلة ذاتها مع تحديد طريقة اقترابه من نفوس قرائه ، تيسر لنا مع تعدد هذه القياسات على اكبر عدد من الادباء الطريق الى الاحاطة العامة بالمداخل المختلفة لهذه النفس .

***

وبالطبع فان هذه الدعوة الى الانفتاح على دراسة الشخصية الاسرائيلية لا تقصر نفسها على الانتاج الادبى كمصدر وحيد لاستقاء المعلومات فهناك من المصادر الاخرى الثقافية من تمثيليات اذاعية ، وافلام سينمائية وبرامج اذاعة وتليفزيون جماهيرية حوارية ودراسات اجتماعية ونفسية ومصادر التراث الشعبى من نكات وامثال وحكم ماثورة سائرة وشائعة ومصادر علمية تقدم الخلفيات التاريخية لتطور الشخصية اليهودية فى المجتمعات المختلفة قبل نزوحها الى الدولة الاسرائيلية فى محاولة الذوبان فى شخصية واحدة .. ما يمكن أن يوفر مادة صالحة ومتكاملة تؤدى

بنا فى النهاية الى الخروج بحقائق علمية ثابتة عن الشخصية الاسرائيلية الراهنة ومكوناتها فى قطاعاتها المختلفة .

***

والمهم فى هذا كله هو ان يتوافر عدد من الباحثين العرب فى ميادين السياسة والاقتصاد الاسرائيليين والادب العبرى وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ اليهودى الاسرائيلى فى شكل فريق عمل واحد ذى خطة واضحة ذات مراحل متكاملة تضع نصب عينيها جوانب محددة تحديدا علميا دقيقا بهدف استقصائها للكشف عنها واجراء عمليات الربط والقياس المطلوبة حتى يمكن الوصول مع تعدد مراحل الخطة الى النتائج النهائية الممكنة .

وهو أمر لا يمكن أن يتحقق الا بامكانيات تمويل وتوفير المصادر والمراجع الكافية يتيحها مركز علمى قادر على التمويل والتنسيق .

القاهرة ــ ابريل ١٩٧٢

ابراهيم البحراوى

نظرة متبادلة

- نظرة اسرائيلية على الادب العربى
- نظرة عربية على الادب الاسرائيلى
- اساليب التعبير الادبى الصهيونى

« من كان حظه أعظم ربحا من الناحية الادبية نتيجة للحرب .. العرب أم نحن من نجد صعوبة فى هضم انتصارنا والاتساق معه ؟ »

نظرة اسرائيلية على الأدب العربى

ان ما أوحى الى فى الواقع بكتابة هذا الفصل هو احساسى بأن المقارنات التى دأب الانسان العربى على عقدها منذ هزيمة حزيران بين اوجه الحياة العربية والحياة الاسرائيلية بدافع الرغبة فى التعرف على طبيعة الثقل فى كفتى الصراع .. هذه المقارنات التى تنسحب لدى الانسان العربى على الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية ينبغى أن تمتد أيضا الى مضمار الانتاج الادبى فى كفتى الميزان حيث ان هذا الانتاج هو جماع الاوضاع العامة كلها ومرآتها العاكسة .

ولقد كان فى تخطيطى الاولى لهذا الفصل ميل نحو الحديث التحليلى من جانبى لظروف الانتاج الادبى العبرى فى اسرائيل وما تحمله من مقاربات ومفارقات عن ظروف الانتاج العربى عامة . ولكن الصدفة ساقت لى مقالا نقديا للناقد الاسرائيلى آهود بن عزر نشر فى الملحق الأدبى لصحيفة عل همشمار بتاريخ ١٩٧٠/٧/٣ يعلق فيه على عدد خاص اصدرته المجلة الادبية

الاسرائيلية ربع السنوية «قيشت ـ أو القوس بالعربية» عن ظروف الانتاج الادبى العربى بعد عام ١٩٦٧ .

ولما كانت تعليقات الناقد أو انطباعاته عن عدد المجلة الربيعى هذا لعام ١٩٧٠ والصادر فى ١٩٧ صفحة محررة على أيدى مجموعة من دارسى الادب العربى الاسرائيليين ومشتملة على دراسات نقدية الى جانب نصوص كاملة من الشعر والقصص القصيرة لكتاب عرب مختلفين مثل نجيب محفوظ وسليمان فياض ويوسف ادريس وانسى الحاج وعبد الوهاب البياتى ومعين بسيسو ونزار القبانى وفدوى طوقان وغيرهم .. لما كانت تعليقات الناقد عليها تتضمن مقارنات بين الظواهر التى لمسها عن الادب العربى والحياة العربية بعد الحرب من خلال عدد المجلة ونفس الظواهر فى الادب الاسرائيلى والحياة الاسرائيلية بعد الحرب ايضا .. فقد وجدت ان هذا المقال النقدي يمثل وثيقة قادرة على الانباء بنفسها وعلى لسان كاتبها الاسرائيلى من حقائق الحياة الاسرائيلية وانعكاساتها الادبية .

ولذا فانى أسوق مايورده هو من مقاربات ومفارقات كوثيقة تتصدر هذا الفصل وتقدم اهم السمات العامة المميزة للحياة الادبية والفكرية فى اسرائيل بالنسبة لما هو قائم فى العالم العربى . وبالطبع فان ما يسوقه الناقد عن سمات الادب الاسرائيلى يمكن قبوله على انه شهادة لهذا الادب أو عليه على اساس معايشة الناقد الكاملة له وانغماسه فيه بينما يمكن قبول ما يورده بشأن الادب العربى على انه وجهة نظر مبنية على قراءة مائة وسبع وتسعين صفحة عن الادب العربى

وللمثقفين العرب بالطبع كل الحرية فى تقييم وجهة النظر هذه وتصويبها ان شطت أو بالغت أو خالفت ما يعرفون عن حقائق واقعهم المعاش بالنسبة لهم .

يقسم الناقد مقاله الذى سنورد فيما يلى ترجمة كاملة له الى فقرات مرقمة تحمل كل منها موضوعا معينا وممهدا لها بالتمهيد التالى :

« من طبع القارىء الاسرائيلى انه يسعى وراء المقارنات فهناك رغبة كامنة فى التعرف على ما احدثته الحرب لدى العرب تجاهنا .. بل الكشف عمن كان حظه اعظم ربحا من الناحية الادبية نتيجة للحرب . أهم المترديون فى نتائج هزيمتهم أم نحن من نجد صعوبة فى هضم انتصارنا والاتساق معه . ان عدد مجلة « قشت » يعطى بعض الاجابات ولكن على أن أؤكد ان هذه الاجابات تمثل انطباعات موضوعية تولدت لدى بعد قراءة العدد وليست تلخيصا لمواقف ورد التعبير عنها داخل العدد .

— ١ —

ان ازمة المثقفين وتعويق التفتح الادبى الحر الذى يوفر للأدب خاصة الاتصال بكل نواحى الحياة .. أزمة قائمة فى مصر مثلما هى قائمة عندنا تماما . ذلك اننا نلاحظ ظاهرة الهروب الى التعبير الرمزى « مثل قصص نجيب محفوظ الاخيرة » وهو هرب ناتج من العجز عن التعبير عن آراء ناقدة او الاطلال على وهدة الكابوس الكامن فى حالة الحرب دون المخاطرة بالانزلاق الى موقف يتعرض فيه الاديب للاتهام بانه من أعداء النظام او انه انهزامى .

ويمكننا ان نقدر ان مسرحية كمسرحية « ملكة الحمام » (١) يمكن ان تعامل فى مصر بنفس الطريقة التى عوملت بها عند عرضها فى اسرائيل . بل انه فى مصر قد سمح بعرض مسرحية نقدية سياسية ليوسف ادريس تحت اسم « المخططين »

- ب -

وكما هو الحال هنا فانه توجد هناك خصوبة فى أدب الحرب « المطابق للاوضاع » السائر فى اخدود يتعمق مثل قصة سليمان فياض المشحونة باحساس الثار « أحزان يونيو » . وهى قصة تذكرنا بدرجة غير قليلة بالنغمة الانفعالية المسموعة فى صحافتنا المسائية . قصة «قومية» للغاية مطبوعة بطابع أحلام اليقظة للغاية ومزيفة للغاية . فهى لاتعدم عنصر حب الوطن وما الى ذلك (٢).

وفى مقابل هذا فانه يوجد هناك كما هو هنا ايضا تحفظات مفهومة من قبل بعض الادباء الجادين (٣) ضد

(١) مسرحية عبرية ظهرت بعد حرب ١٩٦٧ وهى تتعرض بالنقدالمرير لاتجاهات السلطة الاسرائيلية وتكشف عن مثالب الحكومة القائمة فى اسرائيل . وتحكى المسرحية قصة فتاة اسرائيلية كانت تعيش قصة حب سعيدة مع حبيبها حتى اثارت الحكومة الاسرائيلية حرب يونيو فالتحق الحبيب بالقتال ولم يعد اليها ثانية الا مات .

ومن هنا تبدا الفتاة فى لعن الحكومة الاسرائيلية واطماعها وتطالبها بالتخلى عن هذه الاطماع وترك الناس يعيشون فى سلام فى اسرائيل . وقد تعرضت المسرحية للمطاردة والمصادرة والهجوم من جانب السلطات الاسرائيلية ووصفها موشى ديان بانها مسرحية قذرة وذلك لما تبثه فى الانسان الاسرائيلى من مشاعر مخالفة لما يعمد جهاز صناعة الانسان فى اسرائيل الى صياغة أفراد المجتمع عليه من عدوانية وتحجر انسانى ورفض لقيم السلام والتفاهم مع العرب .

(٢) و (٣) يلاحظ فى هاتين النقطتين ان الناقد الاسرائيلى يغفل فى مقارنته التى يعقدها هنا من مفارقة اساسية تميز الاديب العربى عن

السير فى هـذا الاخدود والعمل على خدمة أهداف السلطة .

ويلعب هـذا التحفظ دوره فى تقييم « أدب الحرب» الذى يبدو انه يهدد بغزو السوق تقييما نقديا متوازنا .

ويفتيس شمعون بلس فى نهاية مقاله حديث الناقد المصرى حسن حنفى وقد نشر فى الآداب البيروتية فى نوفمبر سنة ١٩٦٩ وهو الحديث الذى يجدر أن نورده هنا كاملا كى يستفيد القارىء العبرى وكى يستفيد خاصة بعض الصحفيين المعينين والادباء المجتهدين فى الانتاج أكثر مما ينبغى .

عدد كبير من الادباء فى اسرائيل بالتعبير عن المشاعر القومية فى اطار فنى .

ذلك أن الناقد يصدر حكمه على الاديب العربى المعبر عن المشاعر القومية بالزيف وخدمة اهداف السلطة .. قياسا على مايعرفه هو وما اعرفه انا عن الادب الاسرائيلى المعبر عن القيم القومية من أنه يصدر اصطناعا من الكاتب باستلهام أهداف السلطة الاسرائيلية وتعبيرا مواكبا ومروجا لاطماعها فى الاراضى العربية لشحن الانسان الاسرائيلى بالحماس لهذه الاطماع فى قالب أدبى . وهو موقف يمثل امتدادا لاساليب الدعاية الصهيونية التى كانت حريصة على اصطناع اطر قومية لمشروع الاستيطان فى فلسطين .

هذا بينما يختلف الموقف جذريا عند الاديب العربى . ولو تعمق الناقد الاسرائيلى تفكيرا فى اوضاع العالم العربى لاكتشف أن الموقف معكوس تماما . ذلك أن الايحاء القومى لا يأتى هنا من السلطة الى الادباء ثم الى الجماهير كما هو الحال فى اسرائيل .. بل ان السلطة الحريصة على بقائها فى العالم العربى هى التى تساير ما تفرضه الجماهير عليها وعلى التعبير الادبى من تمسك بالقيم القومية والدفاع عنها ضد الغزو الصهيونى .

ولعل أبلغ دليل على هذا مايمكن أن يلاحظه هذا الناقد الاسرائيلى – لو أهتم بالملاحظة الموضوعية – من ان أى حكومة فى البلاد العربية من أقصى الشرق الى أقصى الغرب يبدو من جانبها اى تراخ فى موقفها تجاه هذا الغزو لا تلبث أن تتعرض للثورة والسخط الجماهيرى

وهذه فى الواقع أحدى المفارقات الجوهرية التى تفرق بين جوهر الحقيقة وجوهر الزيف فى كفتى ميزان الصراع . ويوما ما سيظهر اثرها فى وضع حد جذرى له .

يقول حسن حنفى :

« تنقسم القصص التى ظهرت بعد الهزيمة الى نوعين :

نوع مكرس للتحميس وهو قريب فى اسلوبه من قصص الاطفال . ونوع يحاول أن يقدم حقائق فيما يشبه تقارير المراسل العسكرى . ويكتب الاديب عن كل الاحداث دون أن يجربها بنفسه أو يتصل بها عن قرب .

ويخطىء اولئك الذين يعتقدون ان تاثير الهزيمة علينا يمكن أن يتبدى فى تغيير موضوعات القصص من قصص حب ودموع الى قصص جنود ومعارك وفى تغيير الابطال من عاشق مخلص ، ومحب خائن الى فدائى محارب وعدو متوحش كما يحدث لمطربينا الذين يبدلون أغانيهم العاطفية الى اغان حماسية بمناسبة الاحداث الوطنية.

ان الكاتب الذى يكتب على هذا النحو هو كاتب للمناسبات فهو يكتب بما توحيه روح الساعة وتكون ردود أفعاله طبقا لمتطلبات الاحداث .. انه كاتب سطحى فى انفعالاته غير أصيل فى مشاعره يعرج على كل ما يجد فى طريقه مثله مثل خطيب المناسبات » .

ان هذه الكلمات فى الواقع كانها اشواك واخزة تبدو فى وضوح كامل .

وما على القارىء الاسرائيلى الا أن يستبدل كلمة « الهزيمة » فيها بكلمة « النصر» لتنطبق على واقعه.

- ج -

وبين الفئة الجادة المثقفة يسود احساس باليأس والاحباط ، وذلك لان الحرب المستمرة تاتى على

حساب صراعات داخلية هامة تطرح جانبا . وعلى راس هذه الصراعات مسألة التحرر من القيود الدينية . وحتى فى هذا الموضوع نجد التقابل مذهلا. ذلك ان نضال الديمقراطية العربية الحقيقى موجه ضد غيوم الاسلام . فى حين يطرح هذا النضال جانبا نتيجة لطنين الحرب ضد اسرائيل ، وهى الحرب المحمولة على امواج الوحدة العربية القومية التى ليست سوى استمرار للتدين العربى المتعصب .

هذا بينما نجد عندنا انه ينبغى علينا التسليم مع سيطرة آخذة فى التزايد للاتجاهات القومية الدينيه والاكراه الدينى تحت شعار « الموقف » على عكس الرؤية الصهيونية الدنيوية فى دولة ديمقراطية على نمط أوروبى غربى (١) .

---

(١) يلاحظ فى هذه النقطة ان الناقد الاسرائيلى يقع فى خطأ اساسى اخر فيما يتعلق باستخلاص السمات الفكرية المميزة للعالم العربى ذات الاثر على الصراع العربى الاسرائيلى .

ويأتى هذا الخطأ كذلك نتيجة لعملية القياس الصورية التى يجريها الناقد بين الظواهر الثابتة فى المجتمع الاسرائيلى وبين ما يتصور أنه نظير له فى العالم العربى . ذلك أن مايذهب اليه من ان الحرب ضد اسرائيل محمولة على امواج التدين الاسلامى المتعصب .. لا يمثل سوى قياس على ماهو معروف للعالم كله من ان احد العناصر الاساسية التى يحمل عليها جوهر الاحساس القومى الاسرائيلى هو عنصر العقيدة اليهودية وما تضمه من ذكريات دينية . وهذا مايحول لى الواقع بين اقطاب السلطان فى اسرائيل ـ ممن يدعون العلمانية والتجرد من النزعات الدينية المتخلفة وبين اتخاذ مواقف عملية حاسمة ضد سيطرة الافكار والمعتقدات الدينية حتى لايفقدوا أحد الركائز الاساسية التى تقوم عليها العقيدة الصهيونية والتى تلعب دورا فى جذب بعض جماهير اليهود المتدينة الى الدولة الاسرائيلية . هذا بينما يختلف الموقف الى حد كبير على الجانب العربى .. فاحساس العداء ضد الغزو الصهيونى لدى عامة الجماهير العربية لايحمل على عقائد دينية اسلامية كانت أم مسيحية بل هو محمل على احساس الجماهير

نستطيع ان نعلم من قراءتنا النماذج الادبية العربية الواردة في عـدد « قيشـت » ان حب الوطن لـدى الفلسطينيين لا يقل عن حبنـا لارض اسرائيـل . ان احاديثهم عن المنفي ورموزهم المستقاة من العهد القديم والاحساس بالغربة لديهم والحماس القومي والرغبة في الخروج من موقف السلبية التاريخية الى موقف النشاط والفاعلية .. كل هـذا يشـبه بدرجـة مثيرة للعجب العناصر المغذية للأدب والشعر الصهيونيين والارتبـاط التاريخي بفلسطين . ان نفس الاحساس بالنفي موجود عند الشعراء العرب الاسرائيليين وعند اخوانهم في غزة او في لبنان .. لـكنه قد يمكن الزعم كما يفعل ساسون سوميخ في مقاله عن فدوى طوقان بأن العنصر القومي يخرب الشعر الذاتي المتكامل وانه يبـدو مفروضا على الشـعراء العرب غير الاسرائيليـين نتيجة لاحسـاس التنافس مع شعراء مثل محمود درويش وسميح القاسم

وحتى لو افترضنا ان الامر على هـذا النحو .. فهل ادبنـا وشعرنا الصهيوني والاسرائيلي بريء من هـذا الخلل ؟ !

بالخطر تجاه غزو استعماري يهدد باقتلاعها من اراضيها تدريجيـا ليحيلها في النهاية الى جماعات من اللاجئين ، وهذا هو صلب الحقيقة على جانبنا العربي .

« قصائد ابياتها من الدموع .. مسرحيات حوارها
تحيبم وموسيقاها الحان جنازات .. روايات
شخصياتها واحداثها مكللة بالســـواد .. »

نظرة عربية على الأدب الاسرائيلى

يمكننا من خلال الفقرات الاربـــع الســـابقة التى يسوقها النـاقد الاسرائيلى أن نخلص الى ابرز سمات الحياة الفكرية والادبية فى اسرائيل .. وبعدها نستطيع التقاط خيط الحديث لنقدم صــورة تحليلية عامة عن اوضاع الحياة الادبية الاسرائيلية .

يقرر النـاقد الاسرائيـلى فى فقرات مقـاله وجـود السمات التالية فى الحياة الاسرائيلية :

١ ـ هناك تدخل فى حرية التعبير الادبى الاسرائيلى اذا جنح الى مخالفة جوهر اهداف السلطة الاسرائيلية .. هـذا على عكس ما هو شـائع عن حرية التعبـير المطلقة فى اسرائيل • وهو أمر يمثل الجـانب العنيف من عملية شاملة تســتهدف تجنيد الادباء الاسرائيليين ـ بالاغراءات والضغوط ـ من أجل الدعـــوة الى مفاهيم السياسة الاسرائيلية ومرتكزات الفكر الصهيونى العامة .. مما سيرد اثباته فيما بعد •

٢ ـ هناك ادب فى اسرائيل يواكب اهداف السلطة

ويدق لها الطبول وهو اداة فى يدها لتحريك الجماهير اليهودية كما سنكتشف بعد ذلك • وهو أدب يحمل سمات (الصبغة والافتعال)

٣ ـ هناك صراع قائم فى اسرائيل بين تيارات الفكر العلمانى الصهيونى والفكر الدينى الصهيونى ايضا .. ولا فارق بالنسبة لنا فى غلبة أحدهما فكلاهما صهيونى مجند بوعى او دون وعى لخدمة اهداف استعمارية على ارضنا .

٤ ـ هناك فى اسرائيل دعوة مفتعلة لما يسمى بالقومية اليهودية وارتباطها بالارض العربية المحتلة قبل ١٩٦٧ وبعدها وهى دعوة تنعكس فى الانتاج الادبى كذلك

بعد هذه السمات المرشدة لنا فى فهمنا لواقع الحياة الاسرائيلية نتجه الى بسط الحديث عن أبعاد هذه السمات والاثر الذى تخلفه فى الحياة الاجتماعية والادبية فى اسرائيل .

الادب فى اسرائيل بعد ١٩٦٧

ان قطاعا كبيرا من الانتاج الادبى فى اسرائيل بعد ١٩٦٧ .. تنطبق عليه صفة ادب الدعوة او ما يسمى لدى النقاد الاسرائيليين الادب المجند والادب الوليد الفورى للحظة والحدث .

وعلى الرغم من ان هذه الصفة تميز الادب الصهيونى فى مجموعه .. عبريا كان أم غير عبرى منذ نشأته.. ممهدا للحركة الصهيونية السياسية ومصاحبا لها .. فان الادب الاسرائيلى قد اصبح اليوم اشد لصوقا بهذه الصفة بفعل الظروف والاحتياجات المادية والنفسية التى نجمت عن الحرب وما تلاها من استمرار

القتال .. حتى بدأ يعانى اسهالا كتابيا بكل ما تنطوي عليه الكلمة من فجاجة ادبية وضعف فى اسلوب الكتاب .. وهى قضية تثور حولها مناقشات واسعة على اعمدة الملاحق الادبية بالصحف الاسرائيلية بين النقاد والادباء وأحيانا ما يشرك فيها القراء ايضا .

والادب الاسرائيلى بهذه الصفة الغالبة .. ادب ملتزم بدعوى معينة تمثل لب العقيدة الصهيونية .. وهى دعوى الشعب اليهودى الواحد المتميز الذى ينبغى له أن يتجمع فيما يسمى بارضه التاريخية . وهذه هى القضية المحورية التى قام عليها ادب الاحياء القومى فى الفترة ما بين ١٨٨٠ ــ ١٩٤٨ والتى يقوم عليها اليوم الادب الاسرائيلى الملتزم فى حدود اتساعها وتشعبها التى تترتب على سير الاحداث وتطورها .

بعد عام ١٩٦٧ أصبح الحلم الازهى لكل القوى الملتزمة بالفكر الصهيونى فى اسرائيل هو جلب ما يسمى بيهود الشتات من مواطنهم فى انحاء العالم من أجل تثبيت الانتصار الاسرائيلى وتوفير القوى البشرية اللازمة للاحتفاظ بالاراضى العربية التى تم الاستيلاء عليها والتى اعتبرت لدى القوى السياسية المجاهرة بالاهداف الصهيونية الحقيقية «احزاب اليمين والمتدينين وحركة اسرائيل الكاملة » جزءا من ارض اسرائيل التاريخية « اسرائيل الفرات الى النيل » حتى أصبحت تسمى فى تعبيرهم الدارج « الاراضى المحررة » وحتى رفعوا شعارا دعائيا لهم فى انتخابات الكنيست الاخيرة جملة « حتى ولا شبر واحد » تدليلا على تمسكهم بهذه الارض وعدم استعدادهم للتخلى عنها ، ومن الواضح ان هذا الموقف المعلن لا يختلف فى شيء عن

الاهـــداف الاساسيـــة المعلنـــة قديما من جانب الحركة الصهيونية فى اقامة وطـــن قومى لليهـــود الا من حيث اتجاهه الى ضم مزيد من الارض العربية الى رقعة هذا الوطن وبسط سيطرته عليها .

ومثلما واكب ادب الاحيــاء القومى هـــدف تجميــع اليهود وانشاء وطن قومى فى فلسطين حتى عام ١٩٤٨ فان الادب الاسرائيلى يمارس اليوم دورا أســـاسيا ـ كعنصر من العناصر الراقية فى الاعلام والدعوة ـ فى مهمة قرع الطبـــول لنداء تجميع يهود العـــالم واســـتجلابهم ليعمروا الاراضى المحررة .

يقول حاييم هزاز احد أعلام الادب فى اسرائيل والذى منح اخيرا لقب مواطن شرف مدينـــة القـــدس تقـــديرا لمكانته الادبيـــة .. وانتخب فوق ذلك رئيســـا لاتحاد الادباء العبريين : « ان عبقرية الشعب اليهودى تكمن فى ذاكرته التى ظلت تعى على امتـــداد عشرين قرنا كونه وحدة غير قابلة للتفتت » . « فى حديث مع محرر معاريف ١٩٦٩/٨/٧ » .

وهزاز حينما يقول هذا انما يريد أن ينفذ منه الى دور الاديب الصـــهيونى وتحديده .. ان هـــذا الدور الذى يعيه جميع الادباء الصهـــاينة دون أن ينص عليه هزاز .. يتحدد فى العمل على تغذية هذه الـــذاكرة الجماعية لدى الجماهير اليهودية .. الذاكرة التى تعى وحدتهم كشـــعب وليس كجمـــاعة عقيـــدة .. بحيث لا تسنح لهم الفرصة فى لحظة للانفلات من اسوار العزلة والانصهار فى شعوب البلدان التى يعيشون فيها ، وهذا هو جوهر الرسالة فى الادب الصـــهيونى مهما تغـــايرت موضوعاته واشكاله .

اساليب التعبير الادبى الصهيونى

قبل قيام اسرائيل كان الاسلوب الاساسى الذى يتبعه ادباء الدعوى الصهيونية للوفاء بدورهم هـذا .. هو اسلوب الاحيـاء القومى للوجدان اليهودى ويتمثل هذا الاسلوب فى الـكتابات الادبيـة التاريخية التى تستمد مادتها من التاريخ الاسرائيلى القديم وتنسج أسـاطير التمجيد والبطولة حول الشخصيات التاريخية القديمة فى صور ادبية حديثة .. او تصـوغ أحـداث الحيـاة اليهودية الحديثة فى اطار تاريخى قديم يرمز اليها وينتهى بها الى خاتمة التجمع والانتصـار السعيدة .. وذلك لتحريك النوازع القومية واذكاء آمالها لدى اليهود فى العالم ، هـذا الى الـكتابات الادبيـة السـاعية الى تمجيد تراث الحياة اليهودية المنعزلة فى الجيتو «الاحياء اليهودية الخاصة فى أوربا خـلال العصـور الوسـطى وتقابل حارة اليهود فى الشرق » وتوفير نموذج خـاص لحياة اليهودى الخالص باعتباره العنصر الاساسى الذى كفل للجماهير اليهودية امكانية عدم الذوبان فى المجتمعات المختلفة .. هـذا فضـلا عن الـكتابات العـازفة على وتر الوشيجة التاريخية التى تربط بين الشعب اليهودى والارض الفلسطينية.. بالاضافة الى الكتابات القاصدة الى خلق البطل اليهودى المعصوم من الزلل ومن التعرض لنوازع الخوف والتردد وما الى ذلك مما يميز البشر فى عمومهم .

واليوم وبعـد قيـام الدولة ببضع وعشرين سـنة وبعـد انتصـار ١٩٦٧ نجد ان هـذه الاساليب كلها ما زالت قائمة وان كان الاسلوب التاريخى قد تضـاءل

حجمه ويبـدو وكان معينه قد نضب فى اذهان الادباء الاسرائيليين أو ان ظروف العصر قد تجاوزته فى نظرهم فلم يعد قادرا على الوفاء بالدور المطلوب ، ولذا يلاحظ ان الاقبال عليه كاد أن يتوقف بحيث لم يعد هناك سوى عدد قليل جدا من الادباء يمارسون الـكتابة به ومعظمهم من المخضرمين .

وفى مقابل هـذا نجد الغلبة اليوم لاسلوب آخر يقوم بالدور الاكبر فى مهمة اثارة مشاعر الانتماء القـومى لدى الجماهير اليهودية فى العالم بما يحقق فى المرتبـة الاولى العنصر الاول من عناصر العقيدة الصهيونية وهو عنصر الشعب اليهودى الواحد . اسلوب له ارهاصات قديمة غير ان التركيز عليه بدأ حديثا ، وهذا الاسلوب يتمثل فى ذرف الدموع واقامة المناحات على الضـحايا اليهودية فى تجارب العذاب القديمة .. مناحات ودموع على كل لون وفى جميع الاشكال .

قصائد ابياتها من الدموع .. مسرحيـات حوارها نحيب وموسيقاها الحان جنازات .. روايات شخصياتها واحداثها مكللة بالسواد .. اقاصيص كل ما فيها ينطق بمشاعر الاسى والحداد .. مقـالات سـطورها ولولة وعويل .

عالم كامل من السواد والصراخ والآهات .

كتلة ادبية ضخمة ما زالت فى اتساع يطلقون عليهـا هناك .. ادب النكبة .

ولـكن ما المراد من كل هذا ؟

اهو انفعال جماعى مفاجىء بالعـذاب القديم وتمثل ادبى للانفعال ؟

فى نهاية عام ١٩٦٦ قامت باحثة اجتماعية اسرائيلية

اسمها جئولة هكاهن باجراء مسح اجتماعى بين طلبة المدارس الثانوية فى تل ابيب حول المفاهيم القومية ، وجاءتها الشريحة الكبرى من الاجابات على احد الاسئلة حول ما يعتقد الطالب الاسرائيلى انه يربطه بيهود العالم المعروفين فى التعبير العبرى الدارج بيهود المنفى .. جاءت الاجابات تقول : « يهودى المنفى اجنبى بالنسبة لى .. غير انه أخى فى المعاناة » .

وثارت قضية ومشكلة ، ودارت المناقشات — حتى فى الكنيست — وانتهت الى توصية تتحدد فى ضرورة الاقلال من التركيز فى المقررات على عنصر العذاب والمعاناة باعتباره من عناصر الوحدة بين ابناء الشعب اليهودى مع الاتجاه الى التركيز على سائر الوشائج التاريخية والدينية والعرقية التى لا يعيها الجيل الجديد نتيجة الاهتمام بابراز دور العذاب فى تجميع اليهود .

مخطط هو اذن اسلوب الدموع .

مخطط يشمل جميع اوجه النشاط التعليمى والتربوى والفكرى والتثقيفى ويلعب فيه الادب دوره المرسوم .

من المحقق انه سترتفع فى اسرائيل اصوات بالاحتجاج ضد هذه النتيجة بحجة ان هذه ليست طبيعة الادب . وان الادب لا يتأتى بالتخطيط الجماعى وانه اى الادب ظاهرة ذاتية يتحدد موضوعها وابعادها باحساس الكاتب وحده خاصة فى مجتمع يلبس ثوب الديمقراطية مثل اسرائيل . ولكن ما رأى أصحاب هذه الاصوات فى دلالة السؤال التالى :

« هل تعتقد ان ادبنا يخضع لضغوط صريحة او مستترة تؤثر على طريقة كتابة الادباء ؟ »

ان هذا أحد الاسئلة التى وجهت الى مجموعة كبيرة

من الادباء الاسرائيليين ضمن استفتاء ادبى عام اجرته صحيفة « عل همشمار » فى نهاية عام ١٩٦٩ حول ظروف الادب فى اسرائيل تحت عنوان «الادب والعصر»

وما راى أصحاب أصوات الاحتجاج فى اجابة على هذا السؤال للاديب دافيد لازار بالملحق الادبى لصحيفة « علْ همشمار عدد ١٩٦٩/٩/١٢ » تقول :

« لم اسمع قط عن وجود ضغوط صريحة اوخفية. ولكن اذا تحدثنا من كل انواع « الاغراءات » هـذا اذا استخدمنا لفظا محاذرا فانى اقول نعم انها موجودة « المنح والجوائز ، والرحلات الخارجية والاسكان وسائر « الصدقات » التى من هذا النوع » ولا يمكن فى رأيى أن تتوفر ظروف من حرية الانتاج الادبى الا اذا استطاع الاديب أن يكون مستقلا من الناحية المادية غير محتاج لصدقات الكرماء من « المؤسسات والهيئات المختلفة وما الى ذلك » .

والهيئات المختلفة التى يشير اليها لازار فى اجابته قد تكون المؤسسات الحزبية التى تسعى الى تجنيد الادباء ـ والتجنيد يكون عادة بالاغراء وليس بالضغوط ـ من اجل الدعوة الى مبادئها وترويج أهدافها داخل اسرائيل وقد تكون المنظمة الصهيونية العالمية التى تقوم بالدور الاساسى فى دفع يهود العالم نحو الهجرة من الخارج وقد تكون وزارة الهجرة والاستيعاب التى تعمل على استبقاء المهاجرين والقضاء على ميولهم الى النزوح من جديد .

ومع ذلك فلو برانا الادباء الاسرائيليين فى مجموعهم من تهمة الاستجابة للاغراءات .. فانه لايمكن لاحد أن يعترض على حكم نصدره بأن أديب المناحات الاسرائيلى

متأثر فيما يذرفه من دموع بحالة سيلان الدموع العامة التى يفرضها ضغط الرأى العام كوسيلة ناجحة لاجتذاب يهود العالم . وبعد اعتذار لهذا الاستطراد .. اطرح السؤال الذى كان واجبا من قبل وهو : كيف يلعب أسلوب الدموع الادبى هذا دوره بالنسبة ليهود العالم وتجاه هدف تجميع احاسيسهم حول الفكرة القومية ؟

والاجابة ميسورة لكل من يخوض فى دهاليز هذا التعبير الادبى .. ان هذا الاسلوب يخاطب اليهودى العالمى قائلا :

ايها اليهودى ! العذاب والنكال قدرك المحتوم . ان ما تنعم به اليوم من طمأنينة ليس سوى حدث عارض قد يختفى فى اى لحظة والدليل على ذلك كل تجارب العذاب القديمة واليك تفاصيلها .

هكذا يخاطب ادب المناحات الاسرائيلى الانسان اليهودى خارج اسرائيل وهو يقص عليه عادة بطريقة ميلودرامية قاتمة صورا من العذاب اليهودى القديم . يقول هذا الاسلوب لليهودى العالمى :

اذا أردت طمأنينة دائمة لك ولابنائك من بعدك فليس امامك الا طريق واحد .. هو أن تلجأ الى أسوار القلعة الاسرائيلية فهى كفيلة بحمايتك وتوفير الامن الدائم لك أما ما يخاطب به هذا الاسلوب الادبى الانسان الاسرائيلى الذى يواجهنا اليوم .. فأبشع من أن يخطر على بال أحد ممن يتعاطفون مع هذا الادب فى العالم . ان هذا الاسلوب يخاطب اليهودى فى اسرائيل قائلا : اما ان تقتل العرب على هذه الارض اليوم واما انك ستقتل غدا فى كل بقاع الارض كما كان يحدث لاسلافك الذين تطالع قصصهم الآن .

هذا فيما يتعلق بالاسلوب الادبى الغالب اليوم

لتحقيق هدف استيلاد الانتماء القومى لدى يهود العالم من طريق اذكاء احساسهم بالاضطهاد ، ومن اللازم ان نشير هنا الى ان ادب النكبة على نحو خاص يلقى رواجا كبيرا فى ميدان الترجمة عن العبرية الى اللغات الاوربية بالاضافة الى ما يكتب منه فى هذه اللغات مباشرة .

وبالاضافة الى هذا الاسلوب .. نجد اسلوبا آخر يسعى الى تحقيق عنصر الارتباط اليهودى بالارض العربية فى نفس الاسرائيلى المقيم والمهاجر الجديد المستجلب .

وهذا الاسلوب رغم قدمه فى التعبير الصهيونى الادبى .. ينتحى اليوم منحى جديدا فى طريقة تعبيره عن الرباط «المقدس» بين اليهودى والارض العربية .. منحى يخالف ما تعودناه من قبل فى الادب الصهيونى من اللجوء الى التراث الثقافى الدينى اليهودى من كتابات توراتية وتلمودية وكتابات للحكماء الدينيين فى العصور الوسطى لاستعارة مواقف واحداث وأمثال وأماثيل تدرج فى سياق التعبير الادبى الحديث للتدليل على قيمة الارتباط بالارض المقدسة مع توجيه السياق الى ما يفيد تحويل مدلول تلك التراثيات المستعارة من الارتباط الدينى والروحى بالارض الفلسطينية الى ارتباط عضوى مادى . ذلك ان أسلوب التعبير الادبى الشائع بعد الحرب بدأ يقصر نفسه فى الدعوة الى التشبث بالارض على استقاء مدده وزاده العاطفى من الموقف الراهن وحده بما يحيط به من ملابسات دونما استنجاد بالتراثيات المؤيدة المؤازرة .

ولا شك عندى فى ان هذا المنحى الجديد فى مسلك

التعبير الادبى الصهيونى الداعى الى الارتباط بالارض فى اسرائيل .. انما يكشف من زاوية ما عن فداحة الازمة الحياتية التى يعيشها الانسان الاسرائيلي فى ظل ظروف الحرب المستمرة بما لا يتيح له فرصة التمعن فى تلك التراثيات واستلهام المدد النفسى منها فى ازمته الراهنة الامر الذى يدفع التعبير الادبى الموجه بالتالى الى اسعاف حمى هذه الازمة من خلال الموقف الراهن المباشر وملابساته موضع الاهتمام والذى لا يستطيع القارىء الاسرائيلى التحويم بعيدا عنه فى تاريخيات وتراثيات قديمة وعقيمة فى نظره بالنسبة لضغوط اللحظة الراهنة وآمالها .

ويؤكد ذلك عندى .. ما يتردد كثيرا فى حلقات الفكر التى تنشر على اعمدة الصحافة الاسرائيلية .. على السنة النقاد والمفكرين الاسرائيليين من انصراف الانسان الاسرائيلى عن متابعة الكتابات الادبية المتحذلقة فى محاولة الاستقصاء التاريخى والاحالة الى التراث وميله الى الكتابات الادبية المباشرة للواقع الراهن .. الوليدة الفورية للحدث والملبية لاحتياجات اللحظة ومقتضياتها النفسية .

ويحيلنا هذا الاستطراد الى ذلك الكم الهائل الفج فى نوعيته من الانتاج الادبى العبرى بعد الحرب والذى اشرنا اليه فى صدر حديثنا . ذلك ان هذا النوع من الانتاج يمثل قطاعا غالبا من الادب المنشور بعد الحرب .. رغم ما يبديه النقاد الجادون من تحفظات تجاهه ورغم ما يثيرونه ضده من ادلة الدحض ـ على المعايير الجمالية والانسانية العامة ـ فى حلقات النقاش وعلى صفحات الملاحق والمجلات الادبية . ويبدو ان

ما يضع هـذا النوع الردىء من الانتـاج الادبى موضع الغلبة والتسيد ـ بالاضـافة الى احسـاس الـكتاب برواجـه لدى قطـاع عريض من القراء ـ هو الدفع الرسـمى له من قبـل الهيئـات والمؤسسـات الرسميه المسئولة عن التوجيه والاعلام .. كى يوفر لدى الانسان الاسرائيلى ـ بما يحمـله من نماذج البطولة الفـردية والجماعية العديدة فى حرب ١٩٦٧ وما يقدمه من تمجيد للروح العسكرية والحضارية الاسرائيلية وتسفيه للقوى العربية وحط من شأن الانسان العربى فى ميدان القتال ـ حالة من التعادل السـيكولوجى تجاه ضغوط الواقع اجتماعيا وحربيا وفى مواجهـة سـيل آخر من التعبير الادبى الواقعى الحر المعبر فى مرارة عن رفض طبيعـة الواقع الاجتماعى الاسرائيلى والسخط على ميول التوسع الصهيونية وسياسـة الحرب التى تتمسك بها السـلطة الاسرائيليـة تجاه العـالم العربى بما يجلب التعاسـة والشقاء على الفرد الاسرائيلى .

ومما يؤكد وجود الدفع الرسمى لـكتلة الادب الملبى لاحتياجات اللحظة ذلك الخطاب الذى تقدم به آيجـال آلون نائب رئيسـة وزراء اسرائيل باعتبـاره وزيرا للتربية والتعليم الى مؤتمر الادباء العبريين ينـاشدهم فيه التنادى بالعمل على تغيير هذه النغمة الادبية التى تلتقط الوان السواد فى الواقع الاسرائيـلى ـ فى الادب السـاخط ـ وتجاوبها بمثل لونها دون محاولة نحو تبديد هذه الالوان على ارض الواقع بجرس ادبى بهيج مستبشر يشيع الامل فى النفس الاسرائيلية . وكان من بين ما قاله آلون فى خطابه فى معرض استنكار موقف الادباء الساخطين اليوم فى اسرائيل والمقارنة بين جيلهم

وجيل آلون فى حرب ١٩٤٨ : فى الحرب القديمة كان من اصدقائنا من يسقطون صرعى ، وكانت وطأة الحرب مريرة وتكاليفها باهظــه ، ومع ذلك كانت تتردد على السنتنا أشعار الامل التى تخرج تلقائية من شــعرائنا المحاربين . ويعلق أحد النقــاد الاسرائيليــين بصحيفة معاريف على هــذا الخطاب مرددا دعوة آلون بقوله : « لمــاذا اصبحت الحروف المربعة » يقصــد الحروف العبرية » اليوم قاصرة على أداء معانى اليأس والحزن»

ولا اظننى مبالغا ان قلت ان هــذا التحامل الظاهر ضد التعبير الادبى التلقائى ف اسرائيل من ناحية ودفع كتلة ادبية معادلة له فى الاثر النفسى من ناحية اخرى ،، لا يعكس قلق السلطة الاسرائيلية ازاءه كمجرد تعبــير ادبى فحــــب .. بل انه يعكس بالدرجة الاولى مخاوف اصحاب السلطة فى اسرائيل من الاثار التى يتركها هذا التعبير الحر على نفوس الجماهير عندما يبصرها بدافع معاناتها ويطرح أمام عينيها تصويرا أدبيــا واضح المعالم لابعاد مشــكلاتها وبواطنها فيحيلهــا بذلك الى طــريق السخط المنظم والثورة .

ويمكننا أن ننتهى عبر هــذه الاطــلالة السريعة على أوضاع الانتاج الادبى العبرى فى اسرائيــل بعد الحرب الى تحديد ثلاث كتل من المضامين الادبية ترد فيه :

الــكتلة الاولى هى كتلة الادب الداعى الى الاهداف الصهيونية الاساســية وعلى راسها هدف تمثيل اليهود فى العالم كله واقناعهم بكونهم شــعبا واحدا ذا انتماء قومى واحد .. وهــدف ربط هــذا الانتماء القومى المصطنع بالارض العربية التى تكشــف الحركة الصهيونية تدريجيا عن اتســاع رقعتها الداخلة فى حدود ما يسمى بالوطن التاريخى اليهودى ..

والكتلة الثانية هى كتلة الادب الملبى لاحتياجات اللحظة النفسية والمعالج للترديات السيكلوجية التى تعتمل فى باطن المجتمع الاسرائيلى بفعل طبيعه البنية الاجتماعية الضاغطة فيه .. وهى كتلة منتمية الى اساليب الحركة الصهيونية فى التغرير بالجماهير الاسرائيلية واليهودية وسوقها الى ساحة الصراع مع العرب كأدوات بشرية فى يدها لتنفيذ مشروعها الاستثمارى على الارض العربية . والكتلة الثالثة هى كتلة الادب الساخط الناقم علىطبيعة البنية الاجتماعية الاسرائيلية وعلى استخدام الانسان اليهودى المخدوع كوقود لماكينة العمل الصهيونية .

وبالطبع فلو شئنا ان نترجم هذه الكتل الادبية الى مفردات القوى السياسية والاجتماعية لوجدنا ان الكتلتين الاوليين تمثلان الحركة الصهيونية ومموليها ومستثمريها فى آن من كبار الراسماليين اليهود فى العالم والمتحالفين مع القوى الراسمالية الكبرى فى العالم والسلطة الاسرائيلية اداة الادارة للمشروع الصهيونى وان تنوعت كتلها بين يمين ويسار وقطاعات الجماهير الاسرائيلية الساقط بعضها فى احابيل هذه السلطة والذى ابتلع الشص المموه بزخارف العقيدة القومية الصهيونية والمؤمن بعضها بخرافة الوطن التاريخى القائمة على الخزعبلات الدينية .

هذا فى حين يشير الاتجاه الادبى الساخط الحزين على ارض الواقع الاجتماعى والسياسى فى اسرائيل الى جماعات التعطل والتسول والتشرد على نمط الهيبز والى جماعات التمرد والسخط المنيف على الواقع الاجتماعى مثل جماعة الفهود السوداء المنادية بحقوق

الطوائف اليهودية الشرقية اجتماعيا والى جماعات التمرد والسخط السياسى على الواقع الاجتماعى بل وعلى الصبغة الصهيونية لهذا الواقع وما يدعو اليه من شعب يهودى واحد مرتبط بالارض العربية .. وهى جماعات داعية الى التخلى عن هذه الافكار والانفتاح على العالم العربى بصورة او باخرى بما يفتح طريقا حقيقيا للثورة الاشتراكية فى هذه المنطقة ولمثل هذه الجماعات السياسية جماعات اليسار الجديد الاسرائيلى . ولقد كان ظهور هذه الجماعات الساخطة وتبلورها على شكل الظواهر الاجتماعية والسياسية بعد حرب ١٩٦٧ تماما مثل كتلة الادب الساخط المعبر عنها التى اخذت شكل الظاهرة الادبية الملموسة فى أعقاب الحرب الاخيرة .

شعر الحرب في إسرائيل

- نغمات الانكسار والحزن
- ثلاث أغان : حدفاه هركافن
- ضيق عابر : شوشانه بيلوس
- احساس : يصحق بولاق
- الى متى ؟ : يعقوف ريمون

« رغم قشرة الصلافة والغرور الظاهرية ، فان قاع المجتمع الاسرائيلى يضطرب بترديات وتخبـــطات سيكلوجية ، ويموج بتوترات عصبية يترنحون تحت وطأتها فى ذلك المجتمع .

نغمات الانكسار والحزن

يخطىء كل من يظن ان الاثر الوحيـــد الاعم الذى اشاعته الحرب الاخيرة بين جنبات المجتمع الاسرائيلى هو أثر النشوة بالانتصار العسكرى والاسترخاء النفسى على المستويين العام والفردى .. استنادا الى مكاسب هذا النصر وركونا الى اقتطـــاف ثماره . ذلك ان قاع المجتمــع الاسرائيــلى يضــطرب فى الحقيقـة بترديات وتخبطات ســيكلوجية ويموج بتوترات عصبيـــة يترنح تحت وطــأتها الانســان فى ذلك المجتمع .. رغم قشرة الصلافة والغرور الظاهرية.. نتيجة الاحساس بتكاليف الحرب المستمرة ووطأتها التى تضاف الى وطأة القصور فى البنية الاجتماعية والاقتصــادية مما يزيد من فداحة الازمة الحياتيــة العــامة التى يعانى منهــا الفرد فى اسرائيل .

وان نظرة مستعرضـــة على الانتــاج الادبى العبرى فيما بين يونيو ١٩٦٧ وحتى اليوم لتوفر لنـــــا نافذة زجاجها أشـــد ما يكون شــفافيــة وصــفاء للاطـلال على هذه الحقيقة .

ذلك ان من السمات العامة التى تسم الانتاج الادبى فى اسرائيل فى هـذه الفترة سمة اقرب ما تكون الى المزاج السوداوى المضطرب المشبع بنغمات الانكسار والتأسى حينا ودقات استنهاض الهمم الخائرة واستنفار العزائم المتراخية حينا آخر .

وفى الصفحات المقبلة نعرض لثمانية نماذج من الانتاج الشعرى فى اسرائيل بعد عام ١٩٦٧ وهى نماذج تطرح رؤى شعرية متباينة فى النظر الى الواقع الاسرائيلى .

واذا كنا نعمـد الى تنـاول الواقع الاسرائيـلى فى البداية عبر الرؤى الشعرية فانما ذلك لان الشـعر بطبيعته وبنسيجه المحدود يكشف عن اعماق التجربة الادبية فى الواقع بصورة أسرع من التعبير النثرى ذى النسيج الممتد المترامى .

كذلك فان اتجاهنا الى تنـاول رؤى شـعرية لدى شعراء متعددين انما ينبع من حرصنا على عدم تجاوز معايير الامان فى استخلاص دلالات عامة من خلال رؤية شاعر واحـد للواقع وذلك تحسبا لاحتمـال أن تكون رؤية الشـاعر الواحد للواقع العام رؤية خاصـة نابعة من داخله ومحكومة بتجربته الذاتية المحدودة .. ولذا فان الاستناد الى رؤى شعرية متعددة للواقع الواحد يكفل حدا كافيا من الامان بالنسبة لاحتمال تعميم العناصر المشتركة فى هـذه الرؤى وامكانية ردها الى محيـط التجربة الواقعية والنفسية العامة فى المجتمع الاسرائيلى والتى تمثـل التربة العـامة التى تنبت فيها الرؤى الشعرية على تدرج قاماتها والوانها .

من بين الرؤى الشعرية الثمانى .. تتميز اثنتـان بخاصة الرؤية ذات البعـد التاريخى التى تقصـد الى

ربط الواقع الراهن بسياق تاريخى عام بحيث لا يبدو هـذا الواقع مساحة حدثية وزمنية قائمة بذاتها ، بل حلقـة فى سلسلة من التجارب التاريخية الممتدة .

ويقدم هاتين التجربتين الشعريتين الشاعران يعقوف ريمون ويصحق بولاق . هـذا بينما تتجه الرؤيتـان الثالثة والرابعة لدى الشاعرتين حدفاه هركافى وشوشانه بيلوس اساسا الى تناول الواقع تنـاولا كليا بصـورة شاملة بما يرسم لوحة عامة له .

هـذا فى حين تنحو الرؤيتان الخامسة والسادسـة لدى الشاعرين يصحق شـاليف وبنحاس بلدمان الى تناول حالة موضـعية مترتبة على الحرب . ثم تتجه الرؤيتان الشعريتان السابعة والثامنة لدى الشـاعرين يعقوف باساو ويهودا عميحاى الى تقـديم نمطـين من المواقف وردود الافعال النفسية ضد صناعة الحرب فى الجانب الاسرائيلى .

ولعله من الضرورى أن نشير فى مستهل هذا الفصل الى أن طريقة تناولنا لـكل قصيدة ـ وكل قصـة فى القسم النثرى ـ بتقطيعها اثنـاء العرض أو سـوقها متكاملة ثم التعليق عليها بعد ذلك .. انما تتوقف على طبيعة بنـاء كل منهـا وما اذا كان يسمح بتقطيعها الى فقرات ذات وحدة فى المعنى ام لا .

كذلك فانه من الجوهرى ان نثبت ابتـــداء ان التفسـيرات الواردة للقصـائد هى حصـيلة التفـاعل التلقـائى بين النـاقد ـ صـاحب الدراسـة ـ وبين مضامين القصائد ـ والقصص بعد ذلك ـ وايحاءاتها . من خـلال موقف التشـبع بروح الـكتابة الادبيـة الاسرائيلية والاحاطة الشاملة بظروف الـكتابة الادبية

فى اسرائيل وروح التذوق الادبى لدى النقاد الاسرائيليين . ومع كل هذه الضمانات التى تكفل للناقد العربى سياجا قويا يحميه من الانزلاق الى وهاد « التفسير بالمرغوب » للأعمال الادبية الاسرائيلية .. الا ان منطق الامانة العلمية يستوجب الناقد أن يشير الى ان للقارىء العربى الحق كل الحق فى التفاعل الحر مع القطع الادبية الاسرائيلية الواردة بالكتاب مع الاحتفاظ بتفسير الناقد كمجرد ضوء هاد فى الفهم العقلى والتفاعل النفسى مع هذه الاعمال .

وختاما لهذه الملاحظات المستطردة فانه من الحيوى لفهم الواقع الاسرائيلى من خلال النماذج الادبية المطروقة .. أن نذكر أن هذه النماذج لم تقدم باعتبارها نماذج متفردة تعبر عن حالات خاصة من الانتاج الادبى الاسرائيلى بل انه قد روعى فى اختيارها وقبل أن تخضع للترجمة عن العبرية أن تكون نماذج ممثلة للتعبيرات الأدبية النمطية السائدة فى الانتاج الادبى الشعرى عامة .

***

ولعله من المناسب ان نبدأ جولتنا بين الرؤى الشعرية بما رقمناه بالرؤيتين الثالثة والرابعة حيث انهما توفران لنا فى البداية كشفا واضحا عن أبعاد الواقع بصورة كلية مما يتيح لنا متابعته فى فهم واضح بعد ذلك مشدودا الى سياقه التاريخى فى الرؤيتين الشعريتين الاولى والثانية ثم نعرض فيما بعد لرؤية الخطوط التفصيلية الموضعية فردود الافعال حياله .

ثلاث أغان ..

حدفاه هركاف (١)

يصطدم القارىء فى قصيدة حدفاه هركابى « ثلاث أغان » بتعبير أدبى يمزج ما بين احاسيس الفزع والعزلة والاغتراب والتردى فى متاهات الضياع.

واذا ما ربطنا بين هذا التعبير الشعرى المغرق فى السواد وبين تعبير القلق العام الذى كان مرئيا فى الصحافة الاسرائيلية خلال فترة المعارك بعد ١٩٦٧ وهو القلق الناتج عن تزايد اعداد الجنود القتلى على ضفة القناة وتشديد هجمات المقاومة الفلسطينية داخل المدن الاسرائيلية .. لامكننا ان نقع دون ما افتعال على محيط الدائرة الواقعية والنفسية التى يجاوبها هذا التعبير الشعرى . انها دائرة افتقاد الاحساس بالامان فى اللحظة الراهنة والياس من توافره فى المستقبل وهى دائرة خط محيطها ورسم مدارها الرماد المتخلف عن انطفاء جذوة الامل التى توقدت فى الافق

---

(١) عل همشمار ١٩٦٨/١٢/١٣ . الملحق الادبى

الاسرائيلى ـ عقب الانتصار السريع ـ فى اخضاع ارادة المقاومة العربية العامة اخضاعا نهائيا .

فى بداية القصيدة تبدأ الشاعرة تصوير الواقع المحيط بها فى صورة رامزة بعيدة عن المباشرة .. تقول :

صمت ووجل
شارع متوهج .. قاس
كفريب .. عن الوعى
خرج ..
قمر صريع يلامس .. جسدى ..
فجاءة .. يتحول الى معول
معلق .. مشحوذ .. يبرق .

هكذا يبدو فى وضوح خلف الصورة الشعرية الضبابية واقع ملتهب متوهج بالقسوة بينما الامل الذى تلامسه الشاعرة ملامسة حسية يتجاوز حد الافول ـ عندما يتحول الى قمر صريع ـ كى يستحيل الى خطر داهم فى صورة معول مشحوذ يبرق بالخطر فوق راسها .

الطفل فى حضنى .. مقرور
مبلل ..
« دعيه فى الزاوية » .. « غطيه بالرداء »
وصدى يبتلعه صدى .
« لكن » .. « هيا » .. « انتظرى » .

ان الامل القريب الذى تحتويه الشاعرة فى حضنها وبين ذراعيها لا يبدو دافئا كما ينبغى للطفل فى حضن امه فهو ينتفض مرتعشا غير مستقر . بينما هى واقعة فى ربكة تجاهه .. فهل تلقيه فى الزاوية ـ كما يراودها ايحاء ـ متخلية عنه .. أم تزداد تمسكا به فتحميه

بالرداء مدافعة عنه كما يراودها ايحاء آخر .. انهـا لا تدرى ما الذى عليها أن تفعله فهى واقعة فى الحيرة .

رباه ! رباه !
الظلمة الى هـذا .. المدى
موحشة ..
افق اسود .. كلوحة على جبينى

كم على ان اسـقط ؟
كم على ان اتراجع ؟
فما أكثر الـكواكب ضـدى .

وآنذاك .. يبـدا الانسـان
خروجا .. عن وعيه .
الآخرون .. عنه يعلمون
غير انهم .. فى اى مرة
معه ..
لا يكونون ..

هكذا تستانف الشاعرة تعبيرها بصـورة أقرب الى المباشرة فهى تكشف فى وضوح عن الظلمة التى تكتنف واقعها وتبدى نفاد صبرها تجاه ما يحيط به من اخطار وما يتهدده من سقوط لـكثرة الخصوم حوله وحولها .. ثم تنتهى الى ان هـذا الواقع الذى تفتقـد فيه العون والسند من الآخرين يجبر الانسان على فقد وعيه والخروج عنه تحت وطأة تكاليفه واعبائه .

وبعد ذلك .. من هنالك
طردونى ..
هكذا .. باقصى حقدهم
ابعدونى ..
وانا .. لم يعـد لى

ما ارجع اليه .
لا مدينــة ..
ابعث فيهــا حيــاتى ..
ولا رقعة أرض ..
لدفنى فى مماتى ..

فى هــذه الفقرة الختامية تتباعد الشاعرة تماما عن التعبير الشعرى الرامز وتتجه بألفــاظ مباشرة صريحة الى التعبير عن محنتها أو ما تصور انه محنتها . فهى تقول ان النهــاية التى توشك أن تنزل بها هى نهــاية الضيــاع اللانهائى فى الحياة والموت .. فهى ان اكتملت رؤيتها للواقع وتبــدد الحلم والامل لن تجد ما ترجع اليه .. لا مدينــة تقيم فيهــا حيــاة جديدة ولا قطعة ارض توارى فيها عند مماتها .

بهذه اللمســة تنهى الشاعرة التعبير عن رؤيتها للواقع المحيط بها بما يدل دلالة قاطعة على ان تجربتها الشعرية ليست محصورة فى اطار ذاتى بل انهــا تعبير عن الانا العامة فى مجتمعها . وهنا تلزمنا وقفة .

ان الشــاعرة تصور الامر وكانه سينتهى بالانسان فى مجتمعها الى الضيــاع الشــامل . فهل يمكن ان يكون هــذا تعبيرا عن رؤية صــادقة نابعــة من احســاس الشاعرة دون توجيه خارجى أو محاولة منها هى نفسها لتوجيه هذه الرؤية ؟

هــذا هو السؤال . .

ولست اظن شخصيا .. وان كان هــذا الظن يخالف امالى الطبيعية .. ان حجم الضــغط العسكرى الذى مارسناه حتى تاريخ نشر هــذه القصــيدة عام ١٩٦٨ يمكن ان يؤدى الى هــذا الاحســاس الشــامل بفقــد

الطريق نهائيا لدى الانسان الاسرائيلى كما تحاول الشاعرة ان تصور الامر

اذن ومرة ثانية .. ما هو القصد الذى تبتغيه الشاعرة من وراء هذا التصوير الذى حرصت فى ادائه على الابتعاد عن الصورة الرمزية الغامضة التى استخدمتها فى بداية قصيدتها واتجهت الى استعمال اللفظ المباشر ؟

هل يمكن ان تكون الشاعرة ـ وسنرى بعد قليل ان هذا الاتجاه ليس وقفا عليها ـ صنيعة للعرب تهدف الى تدمير احساس قرائها الاسرائيليين بالامل فى مواجهة العرب عن طريق هذه الرؤية المفزعة ؟

ان الامر فى حقيقته عكس ذلك بالطبع . ذلك ان بث الحقد ضد العرب فى النفس الاسرائيلية واحدة من الوظائف التى يتبناها الادب المجند والادباء ذوو النزعة القومية المتطرفة فى اسرائيل (1) .

على هذا النحو يكون الامر من جانب مثل هذا الاديب الخاضع لتوجيه الخط القومى الصهيونى ..

استغلال ظواهر المقاومة العربية ضد العدوان الاسرائيلى لبث الهلع والرعب فى نفس الفرد الاسرائيلى حتى ليصور له الامر كما رأينا على انه يقف على عتبات الضياع الشامل فى حياته ومماته . وبالتالى يكون هذا الفزع فى حد ذاته مدعاة لاستنفار مزيد من

---

(1) يتفق ذلك مع ما ذهب اليه قدرى حفنى ببحثه النفسى تجسيد الوهم من ان ماتسمى اليه اسرائيل هو تضخيم الشعور بالاضطهاد لدى الاسرائيليين بحيث يؤدى ذلك الى تضخيم عدوانيتهم . « راجع : قدرى حفنى ـ تجسيد الوهم ـ مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية ـ مؤسسة الاهرام ـ ١٩٧١ »

مشـــاعر الحقد في نفسه ضد العرب معتقدا أنه بسبقه الى الحقد انما يفل من حقد العرب وينقذ نفسه من هول الضياع المنتظر . من هـــــذه النقطة يمكننا ان نلتقـط بداية الخيط فيما اسميناه فى صــدر هــذا الفصـــل بالرؤية ذات البعد التاريخى . ولـكن لنبق الخيط معلقا حتى نستجلى بقية أبعاد الصورة الـكلية للواقع الاسرائيلى عند الشاعرة شوشانة بيلوس .

ضيق عابر

شوشانه بيلوس (١)

تقدم الشـاعرة هنا صـورة كلية مشابهة لمـأساة الواقع الاسرائيلى ، ليس من خلال تقمص الانا العـامة كما فعلت حدفاه هركافى بل باختيار مدخل مخالف من خلال الحديث عن تجربة الطفـل الاسرائيـلى فى واقع الحرب ..

ويلاحظ انها تحافظ فى نسيجها الشعرى على نفس الهدف السابق .. هدف استنفار الحقد والقسوة لدى قارئها ضد العرب من خلال تضخيم مأساته وتكثيفها.

تبـدا الشـاعرة قصيـدتها متباكية على حال طفل ينـدب موتاه ويصلى شـاكيا الظلم المحيق بالطفـولة الاسرائيلية نتيجة فقد ذويها بفعل الحرب . تقول :

صلاة طفل فى الحقل
تنادى على الميت
تحكى عن الظلم من تحت
شجرة قديمة ..

(١) معاريف ١٩٦٨/١٠/١٨ . الملحق الادبى

في مكان ليس من ينتبه فيه ..
لمراى قدمين صغيرتين
تزلان منزلقتين في جنبة الحقل
بين ظلال متراكمة محتشدة
وأصـوات تبعث الخراب
في مدارك رقيقة .

بعد هـذه الصـورة المتأسيـة لطفل دفعته احزانه الى الوحدة في مكان مهجور .. تتوجه الشاعرة بخطاب حان الى هـذا الطفـل تدعوه فيه الى التخلى عن احزانه وانفراده الذى يمض النفس بالعذاب . تقول :

قوم في نفسك أصابع
تعلمت الان فقط أن تتعقد وتتشابك
مرتعدة في طقس فظيع
عدل في نفسك احساسا
يهاجم ساعة الانفراد بالذات
كالسنة من لهب يلفح اللحم
فبهذا يمنع الحزن ويزول الحداد

وبعـد ذلك تتجه الشاعرة الى التأسى على الطفـلة الحساسة التى ينشئها أبوها على رهافة الاحسـاس فيجلب لها العذاب في واقع الحرب.. مبدية استنكارها لهذا النوع من التنشئة وكأنها تقول لقرائها : كى ننقذ أولادنا من عذاب الاحزان فان علينـا أن نجردهم من الاحساس (١) ونبت فيهم الغلظة والقسوة والا لاقوا ما اقصه عليكم من احزان الطفلة ذات الاحساس ومشاعرها

---

(١) يتفق ذلك مع ما تسعى اليه بالفعل اساليب التربية المتبعة في الكيبوترات الاسرائيلية .. » راجع : تجسيد الوهم « قدرى حفنى، مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية ، مؤسسة الاهرام ، ١٩٧١ »

باليــاس والحرمان من حقوقها فى الطفولة وآمالها فى الحياة .

تقول :

ان الاب الذى يورث ابنته الحســاسية .
يعلم ان الوقت غير مناسب على الاطلاق .
للأحزان .. والـكلمات المنكسرة المـكسورة .
ان جنون اليــأس وخيبـــة الامل .
يغرس فى نفسها أحلاما حول واقع ما ..
فى ان كانت لها غاية ومصير .
من العــار أن يضيعا .
بينما الآن مشاهد الطبيعة ميتة .
ومرثيــات سقيمة ذابلة .
تترى متلاحقة فى نفســهــا .

وفى الفقرة الختامية توحى الشــاعرة لقرائها بنفس الايحاء عن السواد الحالك والمصير القائم والضوء القليل .. استنهاضـــا للهمم .. وان كان ايحاؤها هنـــا أقل صخبـــا من الايحاء فى القصيـــدة الســـابقة بما يعكس احساسا أكثر صدقا بأزمة الانسان المحوط بالحرب فى اسرائيل :

سلام أيها الفرح السليب ..
شمس تجاهـــد أن تضيىء ..
عبر زجاج قاتم اللون ..
مترب ..
طفولة أمدها قصير ..
أيام عديدة ملأى ..
بانــكسار القلب ..
بالمرارة ..

تحل بالاحزان ..
اما قليـــل الـكمال .. قليـــل التمام ..
فمخالف لهــذه الايام ..
فهو كالضيــاء الذى فجأة ..
فوق الربى ..
ينطوى ويتبــدد ..
قبــل حلول الظــلام ..

***

على هــذا النحو تنهى الشاعرة تعبيرها عن المـأسـاة الناشئة بفعل استمرار الحرب بنفس الايحاء الســابق فى القصيدة السابقة ..

ايحاء الظلمة المقيمة والضوء العابر الذى خبا

لحساس

يصحق بولاق (١)

من نهاية الخيط الذى تركناه معلقا عند حدفاه هركافى فيما يتعلق باستخدام مؤثرات المقاومة العربية على الحياة الاسرائيلية فى استيلاد احقاد جديدة لدى الانسان الاسرائيلى تحت ابهام الضياع النهائي.. يمكننا ان نلتقط بداية الخيط فيما اسميناه بالرؤية التاريخية لدى الشاعر يصحق بولاق .

فمن هـــذه الرؤية على نحو خاص تفوح رائحة التوجيه فى الادب . فهى تستند الى منطلق الرؤية الصهيونية للمشكلة اليهودية فى العالم .. وهى تقوم على تزييف واقع التاريخ فتصور أن اليهودى لم يعذب على مر الاجيال الا لمسالمته ووداعته ولذا فهو يستحق الخلاص بالتجمع فى دولة السلطان الصهيونى .

هـذه هى القاعدة الصهيونية لفهم مسيرة التاريخ اليهودى القديم والحديث حتى قيام اسرائيل . وبعد قيامها أضيفت الى هذه القاعدة ملحقات أخرى .

ذلك أن ردود الفعل العربية المقاومة للعدوان

---

(١) معاريف ١٠/١٠/١٩٦٩ .. الملحق الادبى

الاسرائيلي اصبحت تدرج هى الاخرى فى مجرى التاريخ اليهودي كحلمة جديده من حلمات العداب اليهودى ، منطق غريب يدرك صانعوه على الارجح ـ فى ظنى ـ مدى ما فيه من مجانبة للواقع وتجن على الحقيقة ولكنهم يصرون عليه ويستخدمونه فى تكثيف على كل مستويات التعبير والكتابة التاريخية والاجتماعية والادبية والتعليمية والتربوية لاحراز هدف سيكلوجى محدد فى نفس القارىء اليهودى خارج اسرائيل وداخلها .

ولكن فلنقطع هذا الاستطراد حتى يكون تبيننا للهدف من استخدام هذا المنطق من خلال التعبير الاسرائيلى ذاته .

يقول الشاعر يصحق بولاق فى قصيدته «احساس» :

أحس بروائح قوية ،
روائح جثث .
روائح لحم .. فى ضرام عنيف
من الزيت .. يحترق ،
يشوى على صدر مقلاة من
الرمال . . .
يزيد من رقعتها ومداها .
مصدر عال .

بهذا يفتتح الشاعر قصيدته تعبيرا عن واقع الخسارة البشرية التى تنزلها القوات العربية المدافعة بالغزاة الاسرائيليين وكما نرى فهو يسوق هذا التعبير فى صورة مؤثرة تدعو القارىء الاسرائيلى إلى انفعال الم عميق لمصير هذه الجثث البشرية التى تشوى وتقلى .. دون ما ذكر بالطبع لابشع أنواع القتل

والتعذيب التى يمارسها هؤلاء الغزاة المتجبرون ضد الانسان العربى قبل أن ترتد اليهم النيران فتصليهم وتشويهم على حد تعبير الشاعر .

فى ختام الفقرة يرسى الشاعر قاعدته التى سيشيد فوقها ـ فى بقية القصيدة ـ بناءه التاريخى للمأساة اليهودية . فهو ـ من خلال موقف لا دينى رافض لفكر الخلاص اليهودى السماوى ـ يقرر أن مقلاة العذاب اليهودى يزيد رقعتها ويوسع مداها مصدر عال اى مصدر سماوى .. وهى اشارة يريد بها الشاعر أن يحدد موقفه من منهج الخلاص اليهودى.. ليس بمجرد رفض فكرة الاعتماد على القوى السماوية فى انهاء العذاب اليهودى .. بما فى ذلك طبعا موقف المقاومة العربية .. بل انه يتجاوز هذا الى ادانة القوى السماوية كذلك بالمشاركة فى هذا العذاب . والقصد من هذا فى النهاية هو ترسيب احساس فى وعى القارىء الاسرائيلى بأن مسئولية الخلاص مسئولية ملقاة عليه وحده حتى ضد القوى السماوية. وبذلك يتهيأ القارىء لتلقى محتوى المنهج الواجب اتباعه لتحقيق الخلاص حسب منطق التوجيه وهو أمر شائع فى الشعر والنثر سنعاود الالتقاء به فى القسم القصصى

بعد هذا ينطلق الشاعر فى تصوير هذا الواقع مشدودا الى سياق تاريخى .

جثث . . .

من أجل تكثيف المذاق .

المرير . . .

فى التاريخ الحى الملموس

هكذا يربط الشاعر ربطا تعسفيا بين ما يلقاه غزاته

المعتدون فى الحماسة العربية وبين تاريخ العذاب اليهودى . فهو يرى أن الجثث التى تحدث عنها فى الفقرة الاولى انما هى اضافة جديدة لتاريخ النكال اليهودى .

هكذا يزيف التاريخ ـ الذى يحكم على اليهود بالمشاركة فى صنع مشكلتهم مع العالم المسيحى الاوروبى الاقطاعى والرأسمالى ـ فى سياق رؤية أدبية مستنفرة لمشاعر العداء ضد العرب .

على هذا النحو تقلب صورة الواقع فيوضع العرب موضع المعتدى الذى يمارس تعذيب اليهود .

كلا .. لست فى حاجة
لشرح احداث بالتوتر
المأسوى .. مشحونة
الحديث عن البداية
افضل عندى من
بسط ماتم وما انقضى

بهذه الفقرة يقول الشاعر انه سيتجاوز الحديث عن سلسلة العذاب مفضلا الارتداد الى بدايتها ليمسك بخيط التاريخ من أوله .. وهو بهذا يوحى لقارئه بعقد مقارنة بين علة نشوء سلسلة العذاب فى البداية وبين الملابسات المشابهة فى الواقع الراهن

سداد الحسابات فى ظنى
فيما بين النهرين .. بدأ
هناك .. القى رب ابراهيم
المهزوم ..
الى نيران الاتون ..

« ملاحظة شعرية : بالمناسبة استكمل الاتون وحفظ

على مر الاجيال منذ أيام ما بين النهرين وحتى معتقلات اوشفيص »

ومنـــذ دمرت أوثان
عاموره وســـادوم
وأبنـــاؤه باطراد
تحت شـــعار « لا تقتل »
يقتـــلون ..

بهـــذا الحديث الميلودرامى يقـــدم الشـــاعر لقـــارئه الاسرائيلى تصوره لمجرى العذاب اليهودى. فالسلسلة تبـــدأ منذه فيما بين النهرين اى عند ما سقطت دولة اسرائيل بقسميها الشمالى والجنوبى فى القرنين الثامن والسادس ق.م على أيدى الغزاة الاشوريين ومن بعدهم البابليين .. فهناك حيث سبى الاسرائيليون انتهكت حرمة رب ابراهيـــم أبى التـــاريخ الاسرائيـــلى . ومنـــذ ذلك الوقت .. يقول الشاعر .. وحتى معتقلات اوشفيص النـــازية فى الحرب العالمية الثانية ظل اليهودى يتعذب ويلحق به القتل لمجرد تمسكه بوصية عدم القتل . (١)

هـــكذا يصـــور الشـــاعر المـــأساة اليهودية لقـــارئه الاسرائيلى محددا علة واحـــدة لها هى وداعة اليهودى ومسالمته .. واحجامه عن القتل .

فما الذى يريده الشاعر من هذا ؟

ما هو الاثر السيكلوجى الذى يرمى الى احداثه فى نفس قارئه الذى يعيش فى اسرائيل اليوم بهذا التصوير المزيف لحقيقة المـــأساة اليهودية كما يسمونها ؟

---

(١) يتفق ذلك مع ماذهب اليه قدرى حفنى فى كتابه تجسيد الوهم من شـــعور الاسرائيليين الصادرين بالتمرد على استسلام اسلافهم لما وقع عليهم من عدوان « راجع : تجسيد الوهم : مركز الدراســـات الفلسطينية والصهيونية ـ مؤســـسة الاهرام ـ ١٩٧١ »

ليحيا نبـذ السلبيـة .
كلمـاتى . . .
لتـكن كلمـاتى .. فيـالق .
اشـواك ..
لتسـقط اركان عالم
منحط .. بزئير جبـار !

ها هى الاجابة يسارع بها الشارع . فما يريده بعد استثارة الخوف لدى قارئه بتذكيره بسلسلة العـذاب اليهودى .. هو ربط المـاضى بالحاضر .. انه يعود بقارئه بغتة الى ارض الواقع بعد ان حوم به فى اعماق التاريخ.. يعود الى ارض الواقع التى بدأ منها قصيدته حاملا الى قارئه الدرس المستفاد من تجربة المـاضى المعذب . هو يريد من قارئه ان ينبذ السلبية .. اى ان يتخلى عن السلبية فى ممارسة القتل والمسالمة علة مأساته المزعومة . وهو يريد أن تتحول كلمـاته الى فيالق غازية واشواك واخزة تسقط اركان العالم المنحط بزئير جبار .

ومن ذا الذى يمثل العالم المنحط الذى ينبغى أن تدك أركانه سوى العرب الذين لا صـلة لهم ببـداية العذاب اليهودى فى آشور وبابل ولا بنهايته فى اوشفيص النازية .

هنا نضع ايدينا على وحدة الرؤية بين يصحق بولاق فى تعبيره التاريخى وبين حدفاه هركافى وشوشانه بيلوس فى تعبيرهما الـكلى .. فجميعهم قلق لمظاهر المقـاومة العربيـة ضـد عدوان مجتمعه .. وجميعهم يبث قلقه موجة هائلة من الذعر فى نفس قارئه استعداء واستنفارا

بعينى رأسى . . شـاهـدت .

فى يقظـة .. أو فى منـام .
ما يشـبه تمثالا منتصـبا .
يداه الى أعلى ..
مرفوعتـــان ..
انه دعاء الامهـــات :
« ملعون هو من يبعث ..
أولادنا الى مذابح الاوثان ..
القـائمة .. الحمراء . »
اللهم ..
الابنــــاء فارحم ..
والآباء فارحم ..
وضـع نهـاية لتقـديم .
اســـحق ..
ذبيحة وقربانا .
هكذا أيها الشاعر ! ! !

فبعد أن أوصـل يصحق بولاق رسـالته كاملة الى قارئه فى الفقرة قبـل الختامية وحدد له فيهـا طريق الخلاص بطريقة عقلية على شكل معادلة تقول :

« كنت مسالمـا بالامس فقتلوك .. فكن قاتلا اليوم تسـلم » نراه يعود فى فقرته الختامية ليؤكد هـذا الاقناع العقلى بشحنة عاطفيـة يضـع لها اطـارا دعاء الامهات الاسرائيليات اللائى ثكلن ابناءهن فى الحرب : باستمطار اللعنة على من يبعث أولادهن صناديد العدوان الى مذابح الاوثان ويترجى وضع نهاية لسلسـلة عذاب اسحق التى يمثل العرب حلقتها الجديدة !! وياللعجب ..

مع كل صـــــباح ... عبر القناة يتساقطون . .
يلوون كاعواد زرع اخضر .. من جذورهم .. يقلعون !

الى متى ؟ ..

يعقوف ريمون (١)

فى هــذه القصيدة نلتقى بنفس الرؤية القلقة للواقع الاسرائيلى مع نفس القصــد الى ربط الواقع الراهن بسياق تاريخى عام .

يفتتح الشاعر قصــيدته بمحاولة لاستشراف الامل ورسم صورة متفائلة لمستقبل مشرق يطل من بين ركام الواقع تحمله أنفاس السماء ونفحاتها الواعدة بالخلاص.

فجر الخلاص .. من عل
يتنـــــــزل . . .
والفـــــــداء .. ملفوف
بالضيـــــــاء .
المعجـــــــزات ! !
مقبـــــلات .. بهيـــــــات ..
فى جـــــلاء . . .
كألوان الطيـــــــف

(١) هاتسوفيه ٤/٧/١٩٦٩ .. الملحق الادبى

على قوس قزح
محمـــــــولة . . .
بين الســــــحاب .

فى أعقاب هـذه الافتتـاحية المستبشرة التى تتحدث عن المعجـزات فى الاغلب .. ليس على ســبيل المجاز الشعرى بل على سبيل الحقيقة المقررة .. من جانب شاعر متدين ينشر انتـاجه فى صحيفة الحزب الدينى القومى يأتى التعبير عن القلق تجاه الواقع .

بين المعجزة .. وأختهـــــــا
ظــــــلال .. تمر
ظــــــلال ..
بأنات الثكالى .. مشـــــبعة
تحمـــــل فى حنـــاياها
الجراح ..
اشبـــالنــــا .. زهرات جيلنـــا
مع كل صــــباح .. عبر القنــــاة
يتســـــاقطون .. يذوون
كأعواد زرع أخضر
من جـــــذورهم .. يقلعون .

هكذا فى الفقرة الثـانية يأتينـا التعبير المبـاشر عن الباعث الدقيق على المعاناة انه تساقط الشبـاب على حافة القنـاة وهــذا ما يمثل فى نظر الشـاعر موجة جديدة من الظلال التى طالمـا تخللت على مر التـاريخ دائرة المعجزات .

بعد هــذا يتجه الشـاعر بنوع من الشكاية الى ربه الذى يتوقع منه الخلاص .. مستصرخا اياه ان يضع نهاية لمجرى الدماء الســائلة على يوم الامل التـاريخى الطويل .

رباه !
من نوافذك .. تشــــــــهد
آلام الخلاص . . .
كثيفة .. مكثفـــــــــة
ونحن ..
بين مرور معجزة واختهـــــــــا
نحصى موتانا .. وقلوبنـــــــا
تســـــــــال . . .
الى متى ؟ .. الى متى ؟
يظـل يومنـــــــا المأمول
على دمانا
يســـــــــير ؟ ..

***

بهذه الشكاية مدعية الايمان .. مستلهمة الصبر والسلوان لتساقط الضحايا المسالمة الوديعة على ضفة القناة ! ينهى الشاعر قصيدته مناجيا ربه أن يضع حدا لمخاض الخلاص فيرسل معجزة طير ابابيل تشل المقاومة العربية بحجارة من سجيل حتى تكتمل معجزة الخلاص ويعيش الاسرائيليون المعذبون الابرياء فى اطار من المعجزات البهيات فى أرض تمتد من النيل الى الفرات ! !

نظرات.. ومواقف

- صلاة على جرحى الحرب :
  يصحق شاليف
- الضوء الذى فوق البحر :
  بنحاس بلدمان
- الحرب المقبلة :
  يعقوف باسار
- أشعار احتضار :
  يهودا عميحاى

صلاة على جرحى الحرب

يصحق شاليف (١)

في هـذا النموذج الشعرى نلتقى بتصوير موضـعى لاحدى زوايا القلق والاسى التى يخلفها استمرار الحرب فى الواقع الاسرائيلى . من هذه القصيدة تطالعنا صورة تستثير حقـد الاسـوياء من النـاس على من يصنعون الحرب ويثيرون العـدوان . فهى تقـدم صـورا من عذاب الشـباب الاسرائيلى العائد من الجيش مقعـدا او مشلولا أو مبتورا أو جثـة سـاكنة لا حراك فيها . واذا كانت القصـيدة تحمل شحنة أسى عميق ينفعل به الشاعر دون محاولة منه لاستكمال وتعميق رؤيتـه الشعرية برسم مخرج واقعى يجنب مجتمعـه هـذه الويلات ويشير بصـورة واضحة الى الطرف المسئول عنها .. فان غيره من الشعراء الذين سـنلتقى ببعضهم يفعل هذا فى شجاعة تثير التأييد والاعجاب .

والى أن نلتقى ببعض هؤلاء الشـعراء الذين يطلقون

(١) من ديوانه .. شباب عائد من الجيش .. يوليو ١٩٧٠

صيحة الحقيقة بنبرات عالية .. فليس لشحنة الاسى التى تولدها قصيدة بصحق شاليف ان تثير لدينا اى نوع من التعاطف ــ فى غير حدود رد الفعل الانسانى الذى لا نملك حبسه فى نفوسنا ـ تجاه أدوات الحرب الاسرائيلية المعطبة .. ذلك انه اذا كان من طرف يجب ان يتعاطف مع أسى الانسان الاسرائيلى لتساقط ضحاياه فى الحرب فانما ينبغى ان يكون هذا الطرف ساسة اسرائيل وصناع الحرب فيها .. أولئك الذين يرفضون كل فرص السلام ويصرون على منطق العدوان.

واذا كان ساسة اسرائيل لا يتجاوبون بالتعاطف مع موجة الاسى العام التى تغمر مجتمعهم لخسائره البشرية فليس لنا نحن بالاولى أن نتجاوب مع هذا الاسى .

ان رد فعلنا على هذا الاسى لا بد وان يتصاعد بمزيد من الطاقة العسكرية والضغط العسكرى حتى نجبر ساسة اسرائيل فى لحظة على الانصات المستجيب لأنات الجرحى من شبابهم الذين يسقطون على ارضنا من موقف العدوان .

فى مطلع القصيدة يستخدم الشاعر اسلوب الدعاء والمناجاة فى تصويره لاوضاع الاصابات المختلفة التى يعود بها الشباب الاسرائيلى من الحرب .

يقول :

رب المصابين الساكنين فى الجبس . . .
رب المصابين من يتنفسون الاوكسجين . .

رب النفوس التى تلفظ انفاسها . .
كجمرة خابية . .
ساعية الى نهايتها . . .

فى الفقرة الثانية يضيف الشاعر الى هذا التصنيف

العام لاصابات الشباب الاسرائيلى العائد من الجيش لمسات أخرى مكملة ..

رب النفوس التى فوق اسرتهما ..
اكياس الدم ارجوانية اللون ..
معلقة ..

والتى قطرت الدم السائلة فى الانابيب ..
بالنسبة لها .. كساعة تضبط ..
حياة الزمن ..

بعد ذلك التصوير لحالة الجنود الاسرائيليين ضحايا الحرب يتجه الشاعر الى الكشف عن مضمون نجواه للرب :

جل يا رب النفوس التى تعيش
ما بين عقاقير التهدئة وعقاقير التنويم
ما لا يقدر على تجليته للأرواح
سواك ..

هكذا تتحدد الغاية من المناجاة لدى الشاعر فهو يدعو الرب لان يكشف عما يعتبره الشاعر غامضا غير مفهوم لا يقدر على فهم مدلوله ومغزاه سوى الرب .. فما الذى يريد الشاعر من الرب ان يجلى غموضه ؟..

جل سر هذا العذاب وهذه المعاناة
جل الغاية من أعمالك :
الغاية من المشلول والمبتور
الغاية من ساق معلقة بمسمار
فى عظمها .
جل يا رب .. جل .. افصح .

هكذا يكشف الشاعر عن مكنون دعائه الذى يغمرنى شخصيا باحساس من الدهشة .. هو يريد من

الرب ان يكشف عن سر هـذا العذاب وهـذه الجراح التي يعانيها ابطال الحرب الاسرائيليين .

والحق ان احســاس الدهشة لهذا الدعاء يكاد أن يوقف القلم بالتعليق عند هـذا الحد لانتقل الى الفقرة التالية . ولـكن للقـارىء على حق . من حقه أن يعرف مبعث هـذا الاحســاس بالدهشة المزوجة بالسخرية تجاه دعاء يبدو مسـتكينا متأسيـا يفترض أن يثير احســاس الاشفاق الانسانى العام .

***

مبعث الدهشة عنـدى هو هـذه النظرة المفرقة فى الغيبية التي يطرحها الشـاعر . انه يبدو ـ لو عاملناه بحسن الظن ـ غارقا فى تفكير غيبى يرد واقع المعـاناة الاسرائيلية الى قوى لا دخل لها بهذا الواقع . وفوق ذلك يبدو مترديا فى غيبوبة كاملة عن واقعه ومسبباته.
اما كان الاحـرى بالشـاعر ومن ينهجون نهجه فى التعبير وهو يعيش فى اسرائيل ويعلم ان ساســـته يرفضون فرص السلام الواحدة تلو الاخرى أن يوجه دعاءه ونجواه اليهم .

ان الشاعر ينسب معاناة جرحاه الى الرب ويطالب الرب بالـكشف عن الغاية من أعماله هـذه . فهل الرب

هو الذى يثير الحرب ؟ . وهل الرب هو الذى يصر على عدم التخلى عن الاراضى العربيـة .. وهل الرب هو الذى يتحالف مع القوى الاستعمارية لاخمـاد أنفـاس العرب واخضاعهم للتشرد والعبودية .

ما دخل الرب فى هـذا ؟ !

وسؤالى موجه الى الشاعر نفسـه ـ والى كل من يكتبون بطريقته فى اسرائيل ـ واعلم ان هـذا التعليق

سينقل اليه والى غيره فى اسرائيل .

أولى بك أيها الشاعر مرهف الاحساس أن تفهم الحقيقة التى يفهمها غيرك من مواطنيك ، شعراء وغير شعراء .. وان تفيق من سباتك .. اعلم أيها الشاعر ان سر عذاب جرحاك كامن فى اطماع ساستك واصرارهم على العدوان الجشع فوجه اليهم دعاءك سخطا وثوره لانهم لن يستجيبوا بالمناجاة والدعاء .

***

والآن نعود الى القصيدة .. فى الفقرة التالية يواصل الشاعر وصف ضروب المعاناة .

عند ما يخلو جزء تحت الغطاء ..
وينقص شيء ما هناك
كأنه جذع قد اقتطع ..
ينخسف الغطاء فى ذلك المكان
لان تحته لا يوجد سوى
الهواء .
رب الاجساد الساكنة
فى أسرتها
مجمدة دونما برد
مكبلة دونما قيود
رب الشباب الذى قضى عليه
بالنضوج فوق الكراسى المتحركة ،
رب الشبان الذين قضى عليهم
بالموت ..
فى قبر هو حشيتهم وتحت نصب
هو ملحفهم .
قل لهم يا رب على الاقل

كلمــــــــــــــة ..
اطلب لهم الغفــران .

هكذا يصل الشـاعر الى ختام قصـيدته مصــورا من لقوا حتفهم فتجمدوا على الاسرة بالموت .. ومن اقعدوا فى شرخ الشباب فقضى عليهم ببلوغ سن النضـج فوق مقــاعد متحركة. ومن ووريت أجســادهم القبور تحت لوحات الشرف المنتصبة فوقهم .

الضوء الذى فوق البحر

ابنحاس بلدمان (1)

فى هـذه القصيـدة نلتقى بمرثية لضحايا السفينة الحربية ايلات التى اغرقتها زوارق الصواريخ المصرية عام ١٩٦٧ • والقصيدة تقدم نوعا من الرثاء المعتـاده وتؤكد ذكرى هؤلاء الضحايا لدى الشـاعر الذى يعبر عن المه ورعايته لذكرى ضحايا الحادث .

ولعله من الجدير بالذكر أن حادث اغراق المـدمرة ايلات قد حظى باهتمام أدبى خاص فلقى تسجيلا ادبيا فى عدد من الاعمال الادبيـة الشعرية والمنثورة يتراوح جرسها بين النواح والتباكى على مصير طاقم السفينة الذى غرق معها والوعيد بالانتقام والثأر لهم .

أما هـذه القصيدة فتعزف الحان الحزن والحداد تجاوبا مع موجة الاسى التى اشاعها الحادث بعد شهر واحد او أقل من وقوعه .

---

(1) فى ذكرى شهداء ايلات : معاريف ١٩٦٧/١١/١٠ .. الملحق الادبى .

خبـا الضـوء . . فوق البحر
حيـوات أبنـائى يا الهى .
فى الرمال القـديمة . .
حـــــديد بارد
وذكرى الدم الســائل
فوق البحــــر .
وتســـال فتـــاتى :
ربما كانت هـــــــذه الظلمة
كسوف شمس وقد جاء فى غير موعده . .
كلا ! . .
كلا يا فتـــــاتى
لان أمام عينى
جثث أبنـائى كالصـوارى منتصـبة
لو توانت العين لحظة
عن رؤية ورود . .
ورود وغلالة على وجهـك
الطـاهر يا فتــــالى . .
لاحمرت حتى دم الورد
حليــــة موت أبنـــائى
يا الهى !

الحرب المقبلة

يعقوف باسار (١)

في هذه القصيدة والقصيدة التالية نلتقي بموقفين يمثلان زاويتين مختلفتين من التعبير عن رد الفعل الرافض لصناعة الحرب وسيطرة العسكريين والفكر العدواني في اسرائيل لدى بعض قطاعات المثقفين الاسرائيليين . هنا يقدم الشاعر يعقوف باسار وثيقة ادانة صريحة للمجتمع الاسرائيلي كله على موقف صنع الحرب وشن العدوان . وهو في سياق تعبيره الشعري يطلق صيحات التحذير واضحة يشير بها الى السبيل الصحيح الذي ينبغي على اعضاء المجتمع الاسرائيلي المريض انتهاجه اذا شاءوا اعفاء أنفسهم من قوارص الحرب وآلامها وهولها . انه عند الشاعر سبيل التخلي من بث روح العدوان في الاجيال الجديدة وتنشئتهم على مسلك الحرب والاعتداء لتسوية المشاكل المعلقة مع العرب .

(١) معاريف ١٨/١٠/١٩٦٨ – الملحق الادبي

يفتتح الشاعر قصيدته مقروا المسئولية الاسرائيلية الجماعية عن تخليق الحرب وغرس بذورها يقول :

الحرب المقبـــــــلة ..
ننشئها .. نربيهـــــــا
ما بين حجـــــــرات النوم
وحجـــــــرات الاولاد . . .
النعـــــــاس ..
آخـــذ فى الاصطبـــــــاغ بالســـــواد
ونحن من ملامســـــته فى فزع .

هكذا يحدد الشاعر مسئولية صنع الحرب فى الجانب الاسرائيلى ليس على مستوى حجرات السياسة والحرب فحسب .. بل على مستوى حجـرات الحيـــــاة الخاصة حيث ينبغى ان يهجع الانسان ويركن الى التفكير فى الامان والتنعم بالسكون والطمأنينة .. وعلى مستوى حجرات الاولاد حيث يربون وينشئون لا على غذاء الفطرة القويمة ومحبة الآخرين بل على حليب الحرب وعصارات الغلظة والتهجم . وفى نفس الفقرة يشير الشاعر الى ما يوقع فيه هـذا الموقف أصحابه وما يؤدى بهم اليه من مشاعر القلق والتوتر وتوجس الخطر فى الصحو وفى المنام فلا تعود بهم طاقة على مقاربة النوم تخوفا مما يلم بهم خلاله من هواجس ومخاوف .

ذراع الكهرباء تتحـــــــرك
على محورها الملفوف بالصـــــــمت
تجاه الحرب التى تخطـــــــر.
على أحاديث المطـــــــابخ .
فى عتمـــــــة الحجرات ..
نسمع وقع خطـــــــاها

ونحن مقيمون على اغفـــــــــاءة
الظهـــــــــــيرة ..

في هــذه الفقرة يوالى الشـــاعر تقريره لمسئوليــة صنع الحرب على كل المستويات .. فذراع الـكهرباء التى يفترض انها تتحرك على محورها لتوليــد الضياء وصنــاعة النهــار فى جوف الظلمات تحرك تجاه الحرب وفى سبيلها بينما الحرب المقبلة تنضج شيئا فشيئا على احاديث المطابخ مع الطعام ووقع خطاها لا يفارق اسماع واذهان القوم وهم يأوون للراحة من ضنى العمــل فى قيظ الظهيرة .

وفى قاع العيــــــــون
جمـــــــــلان فى لون الليـــــــــل البهيم
يرشف كلاهمـــــــــــــــا من فم الآخر
ميـــــــــــاه الرعب الخضراء
ذلك لاننـــــــــا نستنبت فى تأن وثقة ..
زهرات الحديــد للحرب المقبـــــــــــلة ..
ما بين حجـــــــــــرات النوم .
وحجـــــــــــرات الاولاد ..

***

فى هــذه الفقرة الختامية من القصيدة يطلق الشاعر صيحة التحذير فالحصـــاد من جنس الزرع . يقول الشــاعر : لاننــا نزرع الحرب ونســتنبت زهورهــا الحديدية بكل التأنى والثقة فليس امامنا الا ان نجنى الفزع والخوف الدائمين وليس لعيوننــا ان تبصر فى اليقظة وفى المنام سوى مشاهد الروع والهول يستولد بعضها بعضا ويتساقى بعضها من افواه بعض ويخصب بعضها بعضا . ان الثمار التى نحصدها من بذرنا ..

يقول الشاعر : هى ثمار كريهة تروى بمياه الرعب الخضراء الآسنة ولن نحصد سواها ما اقمنا على ما نحن عليه مقيمون .

***

على هذا النحو من البصيرة الشجاعة التى تمنح الانسان رؤية واضحة نفاذة توفر له امكانية الاحاطة بعناصر الموقف كاملة واستبطان أعماقه الغائرة .. يرد هذا التعبير الشعرى مزودا بمنسوب جمالى مرتفع ممثلا فى سلاسة العبارة وبراعة الصورة وبساطتها وعمق ايحائها واتساع دلالاته فى آن واحد مع الابتعاد عن الالوان الفاقعة فى تلوينها وتميز التعبير بخفوت النغمة الصاخبة الملاحظة فى كثير من أشعار مابعد الحرب فى اسرائيل .

ان الجماليات ليست كماليات تصطنع فى الادب ولكنها أوراق خضر يانعات على شجرة اسمها الرؤية الواقعية الشاملة كلما تأصلت واستمدت رواءها من اعماق الموقف اخضوضرت أوراقها واينعت . وهذا ما توفر بعضه ليعقوب باسار فى هذه القصيدة على قصرها .

أشعار احتضار

يهودا عميحاى (١)

تقـدم هـذه القصيـدة تمثيلا لموقف رفض جـاد ومنيف لواقع الحرب فى الجانب الاسرائيلى يشق له فى التعبير رافدا رومانسيا فى عمقه السحيق رغم انه ينطوى فى ظاهره على امل عظيم يراود احلام الـكثير من البشر فى الشيوع العالمى والمواطنة العالمية . أما لمـاذا تبدو الرؤية لدى شاعرنا رومانسية ؟ فانما هذا لانها مستولدة بفعل واقع الحرب الموضعى وحده دون أن تبدو فيها آثار لنظرة فلسفية اجتماعية تكون منطلقـا ثابتا وقاعدة راسخة للتفكير فى هذا الامل وتمثل شرطا لازما وأساسيا لامكانية تحقيقه .

يستهل الشاعر قصيدته مطلقا صرخة احتجاج تتمثل فى أعلانه عجزه عن الاستمرار بين الاحياء فى ظل واقعه .. يقول :

(١) من ديوانه .. الان فى الزلزال : نقلا عن يديعـوت احـرونوت ١٩٦٨/١٢/٦ . . الملحق الادبى .

ـ ا ـ

انا احتـــــــــــضر .
لولدى عينـــــــــــا ابى
وبــــــــــدا أمى
وفـــــــــمى .
لا ضرورة لى . . .
شـــــــــكرا جـــــــزيلا .
بدات الثــــــــــــــــلاجة تزوم ذاهبا
لســـــــــــفرة طـــــــــويلة .
كلب غريب يبـكي لفقـد شـخص آخر .
انا احتـــــــــضر .

يبـدأ الشـاعر تعبيره بصرخة يعلن فيهااحتضـاره وغيابه عن الواقع ثم يعود ليثبتهـا مرة ثانية فى نهاية الفقرة .. وبين الصرخة الاولى والثانيـة يوسـد علة انفصاله وغيابه هـذا عن واقعه .. وهى ممثلة فىعجزه عن احداث مايتمناه فيه من تغيير. فكل شيء علىحاله ، حتى ولده الذى كان يرجو له خصالا اخرى تميزه عن الواقع المرفوض يكتسب صـفات هـذا الواقع ويتحول الى نسخة جديدة من النسخ العديدة الموجودة فيه . فقد ورث الولد عينى جده ويدى جـدته وفم ابيه . اى ان هـذا النشء الجديد قد اصـبح ينظر بمنظار الجيل القديم وياتى افعاله وينطق باقواله .

وهو امر كان الشاعر يتمنى عدم حدوثه . وبما انه قد اصبح واقعا فان الشاعر يحس بان جـدواه قـد انعدمت فلم تعد لوجوده ضرورة وقد فشـل فى تحقيق ما يتمناه .

ان ثلاجة الواقع البارد المقرور تزوم متأهبة لسفرة طويلة جديدة تحمل فيها ولده الى عالم الجمود والموات بعد أن اكتسب خصائص الواقع بينما كلب غريب يتولى واجب الحزن على هذه الضحية الجديدة للواقع بعد ما لم يعد من بين الناس من يهتم بذلك .

ولعلنا لو جاهدنا للتعرف على خصال هذا الواقع الذى يرفضه الشاعر بصورة عامة لوجدناها ـ اهتداء بمضمون الفقرات التالية من قصيدته ـ فيما تدعو اليه الشاعرة شوشانه بيلوس من تفريغ أطفال الجيل الجديد من رهافة الاحساس وما يستنكره الشاعر يعقوب باسار من واقع تنشئتهم على روح الحرب والعدوان .

ـ ب ـ

دفعت ضرائب لكذا وكذا من الخزائن .
انا مؤمن على تماما .
لى ارتباطات تعامل مع كل الخزائن .
اى تغيير فى حياتى سيكلفهم مالا كثيرا
اى حركة من جانبى ستحل بهم الالم
موتى سينزل عليهم بالخراب .
وصوتى يمضى مع السحب .
يدى الممدودة تحولت الى ورقة : وثيقة تامين اخرى .
اننى ارى العالم خلال زهرات سوسن مصفرة
لان شخصا نسيها .. على المنضدة
بجوار النـــــــافذة ..

فى هذه الفقرة يتحدث الشاعر عن موقفه السابق من مجتمعه .. فلقد كان يدفع ضريبة الانتماء لكل الخزائن .. كان يسهم فى كل المناحى ويقدم ما يستطيع

حتى اصبح لوفرة ما يعطيه وما يسهم به عزيزا غاليا على هـذا الواقع .. وكان كل اسهام يقدمه يمثل وثيقة تأمين جديدة له ترفع من قيمته وتضاعف من حاجة مجتمعه له .. لدرجة انه اذا تخلى او تمنع أو مات نزلت بالواقع خسارة كبيرة تتمثل فى فقد طاقاته وعطائه

والآن وبعـد أن أعطى الكثير بأمل معين يرجوه من عطائه اذا به يثور بعد أن أصبح يرى العالم من خلال سوسنات فقدت نصاعتها وبياضها وطهرها وحال لونها الى صفرة الذبول والموت لان الواقع طرحها جانبا واهملها . لهذا يثور الشاعر على الواقع لانه خيب أمله فى التمسك بنضرة السوسنات ونباهتها .

– ج –

افلاس !
انى أشهر العالم كله
على انه رحم .
من هـذه اللحظة . . احل نفسى
واودعها داخله :
كيما يتبنانى .
انى اشهر رئيس الولايات المتحدة
على انه أبى .
واشهر رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى
على انه حارس أملاكى وجامعها
واشهر الوزارة البريطانية
على انها أسرتى .
واشهر ماوتسى تونج
على انه جدى

كلهم ملزمون بمساعدتى
انا احتضر .
اننى اشهر السماء
على انها الاله
كى يعملوا لى جميعهم معا
ما لم اصدق انهم سيعملون .

تتويجا لموقف الثورة على الواقع الذى خان الامل الطاهر الناصع يعلن الشاعر افلاسه عن العطاء لهذا الواقع المشوب بالذبول والموات .

وفوق هذا يعلن عن انسلاخه عنه والتجرد عن الانتماء اليه بحثا عن انتماء جديد يحقق له أمله فى المحبة والطهارة . انه يتطلع بعد أن خلع جلد الانتماء الضيق الذى يستولد الحرب والدمار الى انتماء أوسع واشمل .. انتماء الى رحم يستوعب الانسانية كلها ويحتويها كالرحم حانيا .

***

وحتى هذه الفقرة كان يمكن أن تكتسب رؤية الشاعر صفة الواقعية .. لكنه بهذه الفقرة يجنح جنوحا جادا الى الرومانسية وخيالاتها المحلقة بعيدا بلا جدوى تحت وطأة حمى الرفض والانسلاخ عن واقعه فهو يجمع فى جوف الرحم العالمى الذى يتطلع اليه أطراف متناقضة تماما بعضها يمثل الخير وبعضها يمثل الشر وهو ذو مسئولية مباشرة وبينة عن ذبول سوسناته وخنقها فى واقعه وواقعنا لتحالفا مع ساسته .

هنا يقع الشاعر فى خلط يبدد الايحاء الشفاف الذى كان يمكن استيحاؤه من سوسنات أمله . ولو كان الشاعر مسلحا بفكر اجتماعى واضح لاستطاع أن يقدم قصيدة رائعة تشير بصورة جلية الى الطريق الذى يوفر

له حلمـــه ويؤدى الى تحويل واقمه المحلى الذابل وكل
المواضع الذابلة من العالم الى جنة متصلة من السوسنات
الناصعات .

***

من خلال تناولنا للتجارب الشعرية الثمانى السابقة .. وهى كما ذكرنا قبلا .. تمثل فى تبـاينها نماذج للانماط الشائعة من الانتاج الشعرى العبرى فى الفترة بين ١٩٦٧ و ١٩٧١ .. يمكننا ان ننتهى الى محصلة عامة فيما يتعلق بطبيعة الحركة النفسية العامة فى الواقـع الاسرائيلى بعد الحرب .. مفادها خضوع هذا المجتمع لنوبة بينة من القلق تطارد احاسـيس الصلف والغرور بالنصر العسكرى .. وهى نوبة تطلـق مجراها الحرب المستمرة وما تقتضيه من تكاليف مرهقـة ومسـتمرة وتغذيه بلا شك روافد القلق العام الضارب فى المجتمع الاسرائيلى بفعل ظروفه الاجتماعية والاقتصـــــادية المضطربة انعكاسا لبنيته الاجتماعية غير المتوازنة وهو امر سيزداد وضوحا اثناء الحديث عن القصة الاسرائيلية

الجزء الثانى

قصص الحرب فى إســرائيــل



اذا كنا قد لمسنا فى الفصل السابق من خلال رؤى شعرية مختلفة بواعث القلق الاساسيــــة فى المجتمع الاسرائيلى بعد الحرب .. فاننا فى هذا التناول للواقع الاسرائيلى من خلال النسيج القصصى العبرى .. وهو بطبيعته الرحبة الممتدة اكثر قدرة علىاستيعاب تفاصيل الحركة الواقعية والنفسية التى ينفعل بهــا الـكاتب ويتجه الى التعبير الادبى عنهــا .. انما نقصــد الى الوقوف على كنه الحركة الداخلية فى النفسالاسرائيلية الخاضعة للمخاوف المختلفة والى تحديد ابعــاد حركتها الخارجية فى اطار الجماعة فى ظل الحرب .. بما يعطى فى النهاية صورة أوضح عما يدور فى المجتمع الاسرائيلى من حركة واقعية ونفسية جماعية وما تلقاه من مجاوبات ادبية .

فىهذا القسم سنتعرض لبعض نماذج القصــة القصيرة بما يمثل انماط الانتاج الرائجة فى هذا الفن تحت تاثير واقع الحرب .

واذا كنا نقتصر فى هــذه الدراســة على نماذج من القصة القصيرة على نحو خاص فانما ذلك لان القصــة القصيرة تقدم لنا اطارا من الامكانيات التعبيرية يتجاوز فى رحابته حدود التعبير الشعرى المحدود من ناحية ، وتوفر لنا مداخل عدة للواقع فى حيز الـكتاب عبر رؤية عدد كبير من الـكتاب من ناحية اخرى . وهو ما كان ليتعذر من خلال تقديم اعمال روائية او مسرحية بما

نستلزمه من حيز كبير خاصة مع حرصنا على تقديم النصوص الكاملة للقارىء العربى .

***

ومما لا شك فيه ان هذا لا يغنينا عن الاطلال على هذا الواقع عبر المنافذ الادبية الاوسع ممثلة فى انتاج من المسرحيات والروايات وهو أمر نرجو ان نستطيع تقديمه للقارىء العربى فى القريب بمساعدة احد المراكز المختصة بالدراسات الاسرائيلية والتى قد تفتح شهيتها لدراسة أدب العدو هذه المحاولة .

فى دراستنا هذه سنحاول أن نوفر للقارىء العربى أكبر عدد من زوايا الرؤية للاطلال على قاع المجتمع الاسرائيلى عن طريق كتاب القصة القصيرة .

وعلى هذا سيشتمل هذا القسم على الفصول التالية :

١ ـ قصص العزلة والياس .

٢ ـ بعد جديد فى ظاهرة العزلة والياس .

٣ ـ القصص السياسى .

ونعتقد اننا بهذا التنويع نقدم شريحة عريضة من الانتاج الادبى فى فن القصة القصيرة على نحو كاف .

قصص العزلة واليأس

• كان يمكن شراء مدفع بهذا المال
للكاتبة روث الموجى

فى هـذه الدراسـة سنجاهد قدر وسعنا ان يكون التناول قائما على الوثائق ، بمعنى اننا سندع المصـادر الاسرائيلية ما بين اديب وناقد تتحدث وتنبىء عن نفسها بنفسها قبل ان نتدخل بالايضاح أو التعليق وذلك جريا على منهج حتمى تمليه ضوابط البحث الموضوعى على من يتصدى لتناول هذا الموضوع فى الحياة الاسرائيلية كى لا يتجاوز مهمة تفسير ما يراه الى الحديث عما يتمناه .

فى أواخر عام ١٩٦٨ نشر القصاص الاسرائيلى الشاب افراهام بن يهوشع وهو من أبرز كتاب القصة العبرية القصيرة فى اسرائيل مجموعته القصصية الثانية تحت عنوان « فى مواجهة الغابة » (١) وعنوان المجموعة هو عنوان القصة الاولى فيها . وهى قصـة رجل يفتقد الجذور التى تشده الى بيئته ويفتقر الى الصلات التى تربطه بواقع جماعته وهو يبحث عن خلاصه فى الغربة الكاملة لكنه لا يوفق حتى الى العزلة ، وهذا الانسان نموذج الطالب الدائم الذى يسعى دائما الى الثقافة والمعرفة الفكرية ، وفى محاولته اعتزال الجماعة يقبل وظيفة مراقب فى احدى الغابات المملوكة للصندوق القومى اليهودى ، وهو بهذا يبحث لنفسه عن طريق ويأمل فى ان يقدر على الكشف عن ذاتيته عله يستطيع

---

(١) افراهام بن يهوشع .. فى مواجهة الغابة .. قصص ، دار نشرها هاكبوتس هاموحاد ١٩٦٨ .

تجديد الوشائج التى تقطعت بينه وبين واقعه ، ان الرجل يعانى كمعظم ابطال الادب ألاسرائيلى بعد الحرب على نحو خاص من الارهاق النفسى والاكتئاب والفزع والميل المستمر الى الهرب ، وهو عندما يلجأ الى الغابة فانما يحاول الارتداد الى أصول الحياة بحثا عن نقطة بداية جديدة ، ينتقل البطل من المدينة للعيش فى الغابة المهجورة حيث تصبح صلته الفعلية بالمستوطنات القريبة والبعيدة صلة واهية محصورة بالضرورات العملية .

فى تلك الحياة المنعزلة يمارس البطل تجريبه الداخلى مع نفسه .. انه لا يجد نفسه الا فى العدم والفراغ اللانهائى .

« تمر عليه أيام غريبة ، اذا قلنا ان الخريف قد اتى فنحن لم نقل شيئا بعد ، ان تساقط أوراق الشجر وكأنه يتزايد .. والشمس تضعف وسحابات أولى تدلف الى الصورة ، ريح ساكنة جديدة .. وادراكه آخذ فى التلاشى ، وبتأثير نوع من الخبال يبدأ فى التجوال دون هوادة فى الغابة ، غصن مكسور فى يده وهو يسير ليلا ونهارا يضرب الجذوع الفضة وكأنه يضع علامات على الاشجار .

فجاة يتهاوى ويضع رأسه على احدى اللافتات المعدنية اللامعة .. يرفع نظارته ويتطلع بعينيه فى رؤية مشوشة عبر قمم الاشجار الى السماء غبراء اللون ، يبدو فجاة وكأنه يبكى ، الصور تبهت فى ناظريه ، ومرة ثانية يغرق فى التفكير ، ثم يقفز ويضل فى متاهات الغابة بين الاشواك والاشجار ، فى ضباب وعيه تنزرع فكرة بأنه مدعو فى التو وبلا تأخير الى مقابلة على حافة الغابة فى الناحية الاخرى منها ، ولكنه عندما يخرج من الغابة

ويصل الى نهايتها سواء فى احدى لحظات الليل او ضحى النهار او لحظة من لحظات الفجر الاولى لايكتشف امامه سوى بلقع اصفر .. واد غريب اشبه بنوع من الحلم الطويل ، يقف هناك زمنا طويلا امام الصمت الخالى .. صمت جدب من الاشجار فيحس بان اللقاء يجرى بل ويجرى بنجاح وان كان لقاء بلا كلمات ، ظل غارقا ربما كاملا وصفا طويلا دون ما اغفاءة حقيقة ، ما اعجب أن تصبح الايام القديمة وكانها وهم او خرافة»

على هذا النحو يجرى سياق القصة فى تصوير لحظات عزلة البطل واغراقه فى الاغتراب عن ماضيه وحاضره بكل ما يحمل من لمسات الحياة حتى المثلة فى الاشجار والنباتات ، غير ان البطل لا يهنأ بعزلته فالواقع بطارده .. ذلك ان شيخا عربيا دمر الجيش الاسرائيلى قريته يحمل حفيدته الصغيرة لاجئا بها الى الغابة مهجع المعتزل .

ويقيم الشيخ فى الغابة فترة تتأجج خلالها نار الثار فى نفسه فينفث حقده باشعال النار فى اشجارها فى نهاية القصة ، وهنا لا يجد البطل « مفرا من العودة الى المدينة والى امواتها » ان انفصاله عن الواقع يصبح كاملا ورغم انه عاد الى مدينته ، فانه قد اصبح غريبا غريبا فى مدينته المألوفة له تماما » .

ويبدو أن مدينته قد نسيته هى الاخرى ذلك انه « يلتقى بجيل جديد فى الطرقات على حين يلتقى به معارفه الساخرون فيربتون على كتفه فى سخرية ووجوههم تنقبض فى ابتسامات قبيحة قائلين : «سمعنا ان غابتك قد احترقت .. وكما هو معروف ما زال البطل شابا ولكن أصدقاءه الحقيقيين قد يئسوا منه تماما » .

فى قصـــة اخرى بعنوان « صمت شـاعر متزايد » لتزايد عزلة شاعر توقف عن الكتابة ساعيا الى الانفصال التام عن بيئته ، وهو يعانى الاختناق ونقص الهواء ، وتحت وطأة اليأس والعزلة يطلق اعترافات تكشف من فقده الايمان بواقعه :

« الم اكن اريد ان اكتب ؟ الم تكن بى اشواق للكتابة؟ ولـكن عن اى شىء تمكن الـكتابة الآن ؟ وهل يمكن ان يقال شىء بعد ؟

انى أقول لـكم : كل شىء خـدعة ، حتى شجره صفصافنا تتفتت ، جذعها يتساقط قشورا قشورا ، الصخور تنبت العستر » .

والطبيعة المحيطة تشارك البطل محنته وركوده وعجزه عن الاستمرار .

« ان هذا الوادى يتحول بفعل الامطار الغزيرة الى بركة من الاسفلت والرمل والمياه ، تل ابيب فى فصـل الامطار بلا صرف للمياه وبلا مخرج .. تزدرع بها البحيرات والبحر من بعيد معتم » .

وفى سياق القصة تتأكد غربة الشاعر وتتزايد حتى يصل الى حافة النهاية فاذا بحبل النجاة يلقى اليه من مصدر لا يتوقعه .. مصدر يستحيل ان يأتى على يديه الخلاص ، ذلك ان ابن الشاعر المتخلف عقليا غير القادر على فهم اى شىء يتحول الى وسيلة تعيد وصل الشاعر بالـكتابة وبالناس فى نهاية القصة عندما يكتب قصيدة وينشرها منسوبة الى ابيه .

ولعـل الـكاتب يقصـد بهذا المخرج الوهمى الذى يهيئه لبطله الشاعر الى القول بان الخـلاص من العزلة واليأس شىء وهمى بنفس القـدر الذى يتوقع به من

صبى متخلف العقل ان يكتب قصيدة وينسبها عامدا الى ابيه ليعيده الى الحياة المنتجة .

وفى سائر قصص المجموعة التى تكرس للتعبير عن ازمة العنصر المثقف ذى الحساسية فى الواقع الاسرائيلى .. نلتقى بأبطال من النوع نفسه ، أفراد ساقطين فى اليأس ينتهى مصيرهم كما التقينا بهم أو يكتب لهم الانتفاض من يأسهم بحركة حاقدة على المجتمع فيدمرون ما يحيط بهم .

ورغم ان قصص بن يهوشع لا تحتوى فى نسيجها على اشارات مباشرة الى معطيات الحرب وتأثيرها على تحركات أبطاله واقعيا ونفسيا فانه من العسير أن نتجاهل ـ كما فعل النقاد الاسرائيليون الذين تعرضوا بالنقد لقصص المجموعة بل والمؤلف نفسه فى أحاديثه مع النقاد حول المجموعة ـ انعكاس واقع الحرب المرئى فى غالبية الكتابات الادبية بعد ١٩٦٧ على الشخصيات الواقعية التى يستقى منها افراهام بن يهوشع معالم أبطاله فى العمل الادبى ، وفى السطور المقبلة نحاول أن نتعرف على جانب من النقد الذى لقيته المجموعة لنشرك الناقد الاسرائيلى مع الاديب فى تقديم صورة الظاهرة .

يقول الناقد الاسرائيلى ى . عاموس فى مقالته النقدية على مجموعة بن يهوشع بعدد جريدة هاتسوفيه الصادر فى ١٩٦٨/٧/١٢ « تستوحى قصص افراهام بن يهوشع من عالم العزلة والصمت الذى يطبق على ابطاله .. ان الهرب من الواقع من ناحية والغوص الى داخل النفس والتقوقع المستمر فيها من ناحية اخرى يمثلان القطبين اللذين تتحرك بينهما شخصيات الكاتب ، ان الانفصال عن الواقع يميز نشاط الشخصيات وهو الذى يحولها

الى ما يسمى بلغة عصرنا « أضداد الابطـــال » أولئك الذين يكتسبون خصائصهم قسرا ورغم ارادتهم فى البداية وطواعية وبالرضا فى النهاية ، انهم ضـالون كالاجانب والغرباء فى طرق الحياة وهم مدفوعون للفشل والضياع نصيبهم ومصيرهم ، ان سقوطهم ليس بمثابة فعل يقع مرة واحدة بل هو مجرى مستمر ومتدفق وسـائر يضعهم موضع الغرق البطىء المستمر . ان الوان هذا الغرق العديدة تكون مضمون القصص وهى التى تميـز كتابة افراهام بن يهوشع وتضـعه فى الموضـع المتميز الخاص من أدبنا الحديث » .

وما نلاحظه على هذا التحليل العام لابطال بن يهوشع هو وقوفه عند حدود التشخيص العام لواقع الابطال دون ما محاولة لبسط عوامل القهر والقسر الخارجية التى تفرض عليهم التقـوقع وتؤدى بشخصيـاتهم الى التوافق الخانع مع العزلة والفرار السلبى من الواقع .

ان جـدارة هذه العوامل بأن توضع موضع البحث والاستقصاء لتفوق عندنا أى اهتمام آخر .

واذا كان الناقد الاسرائيلى قد تغاضى عن هذه المهمة فلسنا نحن فى حل منها ما دامت غايتنا من مثل هـذا النوع من الدراسة الوقوف على العلل الاساسية التى تؤدى الى خلق مثل هـذه الظواهر والانماط البشرية السلبية فى المجتمع الاسرائيلى .

والحق ان ما يقدمه الاديب ذاته من تحليل لمسـيرة التجربة الانسانية لدى ابطاله فى سقوطهم فى وهـدة العزلة والصمت حيال الواقع لاينبغى أن يمثل عندنا كل الحقيقة فيما يتعلق بمكونات التجربة الذاتية والعامة لدى الابطال .. خاصة اذا كنا نقصد من تحليلنا للعمل

الادبي الى استخلاص النوازع الاجتماعية العامة لدى الشخصيات الادبية عامة بوصفها صورة مقاربة الى حد ما لشخصيات الواقع المتحرك .

ان الاديب لايستطيع على الاغلب الاحاطة بكل دوافع سلوك الشخصيات الحية التى يصوغ منها شخصيات عمله الادبى ، ولذا فهو يختار اهم هذه الدوافع حسب رؤيته الخاصة ثم يركز عليها ويعمل على تكثيفها حتى تتحول بين يديه وأيدينا فى نهاية العمل الادبى الى الدوافع الغالبة المميزة لحركة الشخصيات . ولذا فان اعتمادنا تحليل الاديب الواحد لظاهرة اجتماعية معينة مثل ظاهرة العزلة والياس فى المجتمع الاسرائيلى لايمكن ان يؤدى بنا فى الواقع الى احاطة شاملة بكل العناصر الواقعية والنفسية المكونة للظاهرة وذلك لان الاديب كما قلنا يختار على الاغلب زاوية أو بعض الزوايا التى تشد اهتمامه فيجعلها مدخلا رئيسيا للظاهرة .

من اجل ذلك لابد لنا فى بحث مثل هذه الظاهرة الاجتماعية فى اسرائيل من الوقوف على مداخل عدة لها عبر انتاج اكثر من اديب حتى تتوافر امامنا فى النهاية كل الدوافع المكونة للظاهرة . لهذا كان لابد ان نضيف الى رؤية بن يهوشع رؤى اخرى تساندها فى تقديم عناصر الظاهرة التى غفل عنها افراهام بن يهوشع ، وعلى اى حال فان علينا ان نفرغ منه اولا كى نتحول الى غيره .

يركز بن يهوشع فى قصصه على الحركة الداخلية لدى ابطاله .. ونحن نلتقى بهم ابتداء فى كل قصص المجموعة وقد وقعوا بالفعل فى دائرة العزلة والياس .. ولذا فان الحركة النفسية فى كل قصة تنحصر فى اطار تجربة العزلة انصياعا لها او تلمسا لحبل نجاة يلقى الى وهدتها

من الخارج أو انفجارا نفسيا وعصبيـا مدمرا للواقع المباشر المحيط بالبطل ، لهذا لا تمنحنا هذه القصص فرصة لاستكشـاف أبعاد الحركة الخارجية بين الابطـال ومجتمعهم حتى نستطيع رصد مسيرة السقوط هـذه ومتابعة نموها وتطورها .. وان كانت تكشف لنا عن وجود الظاهرة .

من هنا نجد الناقد الاسرائيلى يقف فى تناوله النقدى للشخصيات عند حد استخراج صفاتها من العمل الادبى وتجميعها بصورة تقريرية تعكس انطباعا بشيوع هـذا النمط من الشخصيات وبديهية توافرها بحيث لا يلزم تحليل لعوامل سقوطها .

يقول الناقد ى . عاموس :

« ان مقدرة القصاص تتوافر لبن يهوشع من خلال المواءمة الكبيرة بين الشكل والضمون .. ذلك ان هناك انسجاما خاصا قائما فى كل قصـة من القصص وهو انسجام يتغذى من الجو الاساسى الذى يحيط بالاشخاص وتجاربهم الداخلية ، وفى هـذا الجو تتشارك عناصر عديدة : الاسلوب المـكون من ابنية مختلفة واللغة الآتية من طبقات عديدة والاوصـاف الخارجيـة التى تجىء احيانا حادة وعنيفة وأحيـانا ناعمة ورقيقـة والعوالم الداخلية التى تتلامس حينا مع ما هو قائم خارج حدودها ولا تلامسـه حينا آخر .

فى هـذا الجو يقطع الابطـال الصـلات مع بيئتهم ويخلقون بدلا من ذلك صلات مع انفسهم ، وهم بذلك يريدون حماية انفسهم من البيئة والقيام باعمال بطولة قدر ما يستطيعون غير انهم فى حقيقة الامر يغوصون اكثر واكثر داخل احساس من الجبن والمرارة . احساس

متزايد يبتلع كل طـاقتهم وقدرتهم ، وهكذا يدمرون انفسهم بدرجة اكبر نتيجه للمحن والضوائق التى تعذب نفوسهم بلا مخرج وبلا ثقة فى انفسهم أو فى الآخرين .

ان الاختناق والعجز عن التنفس يميز معاداة الواقع لدى الشخصيات ، ذلك ان الانسان يمكنه ان يوجد فى غابة او فى انحاء افريقيا او فى القدس او فى تل ابيب وان يعانى مع ذلك من نقص فى الهواء ، ان الانفصال عن الناس والتنكر للواقع المحسوس واعتزال الجماعة امور تؤدى فى نهايتها الى ميتة اختناق سريعة او بطيئة ، ان بن يهوشع يقدم الرجفات والارتعاشـــات وهو بذلك يحسب على الادباء المحدثين الخاضعين ليأس الانســان ومخاوفه فى هذا الجيل والذين يكرسون كل كتاباتهـم الادبية لهذه الخاصة الموحدة لجيلنا » .

هكذا ينتهى الناقد الاسرائيلى ــ وقد تركنا له فسحة للادلاء بكل ما عنده ــ بعد استخلاص الصفات العامة لابطال افراهام بن يهوشع .. وهى صفات تتاخم دائرة العصاب « او الداء النفسى » ان لم تقع داخلها .. الى التسليم بأن خاصة اليأس والخضوع للمخاوف والعزلة خاصة عامة توحد بين ابناء الجيل .

ومن المؤكد ان الناقد يعنى بكلمة « جيلنا » الجيل البشرى كله لا الجيل الاسرائيلى وحده ، وهنا قصدنا ، هنا لا بد من وقفة نتولى فيها المهمة التى اهملها الناقد الاسرائيلى .. مهمة البحث عن العوامل المكونة لهذه الخاصة الموحدة للجيل على حد قوله .

من المقرر ان فلسفات العدمية والعبثيـة والسخط والعزلة والعود الى الطبيعـة والفرار من الواقع وما جاوبها من حركات ادبية .. ترتبط فى تطورها بتطور

المجتمع الرأسمالى وتسبقه فى نشأتها الى الارتباط بالمجتمع الاقطاعى ، ذلك ان احاسيس الاغتراب وما يتلوها من ميل للعزلة ومعاداة الواقع ترتبط ارتباطا وثيقا بتفسخ العلاقات الاجتماعية وعدم توازنها بما يفرض اليأس على الطبقات الكادحة ومن يجاوبها بوعيه من المثقفين مجاوبة وجدانية سلبية ، وحتى اليوم ما زالت مصادر فكر العزلة والاغتراب والتحلل الشخصى بما ينتهى اليه من تكوين حركات جماعية مثل الهيبز وغيرهم .. مركزة فى العالم الرأسمالى بما يضغط به على الطبقات الكادحة من اعباء الحياة المرهقة داخل المجتمع لحساب الطبقات المالكة الحاكمة وتكاليف الحروب الباهظة بشريا خارجه ، لصالح نفس الطبقات المالكة فيما تشنه من حروب استعمارية خارج أراضيها طلبا لمزيد من الاستغلال والثراء ، ولذا فان هذه الفلسفات لا تجد لها تجاوبا على شكل الظاهرة فى المجتمعات التى وصلت الى صيغة اجتماعية فى التطبيق تتيح للانسان سعيا متانيا مطمئنا نحو البناء دون خلخلات نفسية واسعة .. فهى لا تضغط على الانسان فى حياته اليومية فى الداخل ولا تستخدمه أداة حرب رخيصة فى الخارج ، وحسبنا أن نعلم انظواهر الامراض النفسية والاجتماعية تكاد لا ترى فى دول العالم الاشتراكى بل وان ظاهرة مثل ظاهرة انحراف الاحداث قد اختفت بصورة مطلقة فى المجتمع السوفييتى بينما هى وسائر الظواهر الاجتماعية المرضية فى تفاقم وتضخم فى مجتمع كالمجتمع الامريكى رغم كل مظاهر ثرائه وقوته .. حسبنا ان نعلم هذا لندرك مالطبيعة العلاقات الاجتماعية فى مجتمع ما من اثر على خلق الظواهر

المرضية النفسية الاجتماعية — التي تبـــدأ بالاكتئاب والعزلة والياس وتنتهي بالخلل العصبي والجنون — أو على اندثارها وتلاشيها .

وهنا نخرج بالدلالة الاجتماعية الاساسية من تسليم الناقد الاسرائيلي بشيوع الشخصية المعتزلة وتعبيرها من انسان الجيل .. هنا يتجه المؤشر الى التوحيد بين دخيلة المجتمـــع الاسرائيلي ودخيلة المجتمعـــات التي انبتت وطورت فلسفـات الفـردية والاغتراب والعزلة والياس .

ان طبيعة البناء الاجتماعي — وهي الامر الذي تتوقف عليه بالدرجة الاولى درجـة الصـحة السيكلوجيـة الجماهيرية عامة — في اسرائيل ليست في حاجة الى اي نوع من الاسهاب للكشف عن تفسخها وعدم توازنها .

فالمجتمع الاسرائيلي في الاساس مجتمع طبـقي فيه غالبية كادحة تعيســة وأقلية مالـكة حاكمة من وراء الـكواليس تحرك كل شيء في اسرائيـل اليوم بعد أن اقامتها من قبل بالتحالف مع الامبرياليـة العالميـة عن طريق استغلال النوازع القومية لدى الجماهير اليهودية التي اصبحت في اتساعها الغالب اليوم في اسرائيل مجرد اداة استثمارية في ايدي الراسمالية اليهودية العالميـة حليفة الامبريالية العـالمية ، والمجتـمع الاسرائيلي فوق ذلك — ولا ندخل فيه هنا الاقلية العربية المسحوقة — مجتمع تمييز عنصري طبقي بين اليهودي الاوربي اداة الاستثمار الواعية بدورها كاداة استثمار امبريالي واسع على الارض العربية تحت شعار من القوميـة اليهودية ومن ثم تحصـل على عائد اكبر من الغنـائم والاســلاب العربية وبين اليهودي الشرقي اداة الاستثمار المضـللة

المخدوعة التي يبقون على تخلفها لتظل قانعة بما يلقي اليها من فتات الغنيمة (حتى عام ١٩٦٠ كانت نسبة اليهود الشرقيين ٦٥ ٪ من مجموع السكان البالغ ١ر٩١١ر٠٠٠)

ان التطابق بين بنية المجتمع الاسرائيلي ودخيلته الاجتماعية وبين المجتمعات الرأسمالية الطاحنة للانسان والمستغلة اياه .. امر تنفق أجهزة الاعلام الصهيونية اموالا طائلة سنويا لتغطيته واسدال الاقنعة عليه بالحديث المكثف عن صيغة الحياة الاشتراكية في ذلك المجتمع وعن مؤسساته الاشتراكية كالكبوتس (١) وغيره مما يستخدم في الحقيقة كأدوات ذات ثوب تقدمي لاحراز أهداف ابعد في التغرير بالانسان وتسخيره لصالح الممولين الكبار .

ولكن ها هي الحقيقة تدعونا اليها من مدخل مختلف تماما عما يتوقعه أصحاب الدعاية الاسرائيلية .. مدخل الفرد الاسرائيلي المعتزل اليأس المتفسخ الدال بحاله على واقعه الاجتماعي .

ومن الطبيعي عندنا ان ترتفع اصوات النقد ضد هذه النتيجة من قبل اقطاب الدعاية في اسرائيل .. في نفس الوقت الذي ستسلم فيه العناصر الواعية المتطلعة للمصلحة الحقيقية للشعب اليهودي بها ، ومن الطبيعي ان يكون مدخل الدعاة في نقض هذه النتيجة هو مهاجمة منهج الاستدلال عليها ، سيقولون — وهذا منطقي — كيف يمكن الخروج بتعميم اجتماعي لنمط ساقط من

(١) هناك رأسماليون في اسرائيل .. بل وهناك مليونيرات حتى في الكبوتسات .. وهناك من أعضاء الكيبوتس من يشكون من هذا الوضع » من حديث لاسحق بن آهرون سكرتير عام الهستدروت .. معاريف ١٩٧٢/٣/٧

الشخصيات الادبية استنادا الى اديب واحد وتسليم ناقد بنتائجه ، واحترازا من هذا عمدنا فى البداية ـ رغم الاثر المؤيد الذى تمنحه لهذه النتيجة النصوص الشعرية السابقة لدى شعراء مختلفين ـ الى التأكيد على قصدنا الى تجميع عناصر الظاهرة من اكثر من مصدر ، وهو ما سيظهر فى هذه الدراسة والقصص التالية لها فى نفس الفصل . عند بن يهوشع وفى عام ١٩٦٨ التقينا بشخصيات معزولة فى رؤيته بفعل واقعها الخاص ، وعند الاديب الاسرائيلى هرتسل آرليخ وفى عام ١٩٦٩ نلتقى فى مجموعته «مراقبة عبر الشارع» (١) بشخصيات واقعة فى نفس حالة الركود والعزلة واليأس بما يوحد بينها وبين شخصيات بن يهوشع ولكن مع تحليل اكثر شمولا ، تحليل يرد ظاهرة اليأس والعزلة لدى الشخصيات الى عوامل فى الواقع ، فهل نخطىء اذا تصورنا ان مصدر الشخصيات الادبية لدى كل من الاديبين والادباء التاليين واحد فى الواقع الاجتماعى مع اختلاف النظرة التحليلية لدى كل منهما .

فى القصة الاولى من مجموعة هرتسل آرليخ يدور الحديث حول شيخ يحاول الاحتفاظ بزوجته الشابة ، ويروى الحدث على لسان « الانا القاص » الذى يتابع مجريات الاحداث ويرويها كجزء من تجربة يراقبها من شرفته عبر الشارع ، والحدث فى القصة لا يستخدم الا كاطار يفرغ فيه « الانا القاص » رؤيته للواقع الراكد المشحون باليأس ، ففى سياق القصة نلتقى بالفقرة التالية ترد على لسان « الانا القاص » .

---

(١) هرتسل ارليخ .. مراقبة عبر الشارع .. قصص .. اصدار رابطة الادباء فى اسرائيل التابعة لدار نشر مساداه .

« تقول أمي انه لو اغلقت المقاهي ودور السينما فسينفصل بالطلاق نصف الازواج الشبان في المدينة لشدة الملالة والسأم ، أن الناس يسيرون في الشوارع كمن يعرف ان هناك ما ينتظره في المكان الذي هو متجه اليه ، وحقيقة الامر انهم يفقدون السير لانه ليس هناك مايدعوهم الى التمهل .. وربما باستثناء بعض النساء اللائي تتصارع عيونهن الطافحة بالشهوة مع بطاقات الاسعار في واجهات المحال عندما تتغير فصول السنة او موضة الملابس ، ويمكن الوقوف على مدى السآمة في مدينتنا عندما تحدث مشاجرة أو يشب حريق أو يقع حادث في الطريق او عندما يركض مجنون في الشارع .. ذلك ان نصف سكان المدينة يتجمعون ، ويحتفل شهود الرؤية منهم بانتصارهم بأطباق شفاهم وابتسامة العارف ترتسم على وجوههم .. بينما يتجمع حولهم من فاتهم حضور المهرجان على امل التقاط اشارة عما حدث كي يحملوا معهم الى البيت تجربة اليوم » .

***

بعد هذا الوصف الذي يقدم خلفية عامة لروح الحياة في المدينة الاسرائيلية يتجه « الانا القاص » الى تناول ظاهرة الشباب اليائس المعزول في هذه الارضية الطافحة بالسأم وهو ما يهمنا عنده .. ذلك ان مصير الشبان الذين سرحوا على التو من الجيش يبدو متهرئا متفسخا تماما كمصير اقرانهم الذين ينتظرون الالتحاق بالجيش.

« من العسير اليوم الاعتماد على الشبان .. انهم ممعنون في التهافت والتعطل ، والعلة كامنة في الموقف الدفاعي .. ذلك ان معظمهم اما موجود في أتون الحرب او انه قد عاد من الحرب أو انه ينتظر حربا ثانية ،

ولذا فهم يعشقون الاستدفاء تحت الشمس وكل منهم يتحسس أعضاء جسده مرددا فى نشوة : « ها أنا حى وموجود » ، منهم من يتغلب على هذه الحالة فى زمن وجيز ، ومنهم من يستغرق للوصول الى هـــذا زمنا مديدا ومنهم من يحتفل بحقيقة بقائه بين الاحياء بعدم التغلب كلية على هذه الحالة . من السهل مشـــاهدتهم وهم يتجولون بلا غاية فى عديد من منـــــاطق التجمع المشبوهة ، ان هذا أيضا هو عين السبب الذى يحمل كثيرا من الفتيـــات الصـــغيرات على الزواج من رجال مسنين ... انهن ينشدن الامان « ص ١٠ »

***

بهذا التحليل لظاهرة ركود الشخصيات الاسرائيلية لدى هرتسل آرليخ نضيف مدخلا جديدا لفهم نفس الظاهرة عند بن يهوشع وبالتقريب بين الشخصيـــات الادبية والشخصيات الاجتماعية يمكننا أن نضع أيدينا على طبيعة الحركة فى الواقع الاسرائيلى .

ان آرليخ يرد العلة الى الحرب التى لا تتوقف فلا تدع للشباب الاسرائيلى ـ ليس جميعه بالطبع ـ من طموح سوى البقاء سليما على قيـد الحيـاة محتفـلا بسلامته وذلك بالاسترخاء تحت الشمس ، وبعضهم يتغلب على هذه الحالة من الركود فى زمن قصير وبعضهم يستغرق زمنا مديدا وآخرون يستـسلمون لها نهائيا ، وما غفل عنه هرتـسل آرليخ هنا اهتم به وبابرازه بن يهوشع من قبل وهو ذلك النمط من الشبـاب المثقف الذى يستيقظ وعيه على سلبية واقعه فيأنف من الاتصال بالجماعة ويسقط فى وهدة العزلة واليأس .

أما ما غفل عنه الاثنان فنذكره نحن هنا .. وهو

ذلك العدد من الشباب الاسرائيلى الذى يستيقظ وعيه على قصـور البنيـة الاجتمـاعية فى واقعه وتفسخها وارتباطها بفلسفات اجتماعية وسياسية ساقطة تنعكس على حياته المطحونة فى الداخل وعلى استخدامه وقودا لحرب استعمارية ضد العرب فى الخارج .. فيتجه الى طريق الاسوياء بالثورة على مظـاهر السلب فى واقعه وتكوين الجماعات السياسية المنادية بالتغيير فى الداخل وتبديل النظرة الى العرب فى الخارج مثل جمـاعات اليسار الجديد، وجماعة الفهود الســوداء المدافعة عن طبقة اليهود الشرقيين المسحوقة وجماعات السلام فى اسرائيل .. وان كانت جميعها ما تزال فى بداية الطريق نحو الوصول الى نظرية ثورية حقيقية تغير من وجـه الحياة الاجتماعية والسياسية الاسرائيلية ، وفيما نعلم فان هذه الفئة من الشباب الاسرائيلى هى اقل الجماعات هناك واخفتها صوتا على الصعيد العام .

كان يمكن شراء مدفع بهذا المـال

روث الموجى (١)

روما مرتبطة بالمشقة ..

مرتبطة بملامسة سطح منضدة البلوط الخشبي المقشور القديم ، بنفض الغبار عن الحاجيات القديمة في الحجرات ذات الدلف الخشبية المقفولة ، بحقول تكسوها صفرة كركمية ، بطنين النحل الثقيل المضني .

روما مرتبطة بهذه المشقة ، بانكسار النفس ، بالحرارة لكنه لا تنبغى الشكاية ، فهناك حيث يقيم صديقى ميخائيل الحرارة اشد واقسى .

روما مرتبطة بالاشواق ، وعندما أسافر الى روما اقابل فيليني ، قابلته لآخر مرة منذ ثلاث سنوات ، كان ذلك في شهر ايلول وكان النحل يطن في حقول الصيف فتذكرت خلايا النحل التي يملكها ابى ، عندما كنت اصرف الشيك في البنك كان هناك رجل حسن المنظر يدخن البيبة وينظر الى في ابتسامة رقيقة ، تعقبني عند خروجي ، كان من المستحيل عليه أن يحدس انني أقيم في روما في مقهى مع فيليني مكدودة لدرجة الموت .

---

(١) ها آرتس ١٩٦٦/٦/٦ .. الملحق الادبي .

الطلب على احلامى حاليا اقل مما كان عليه دائما ، ان المستهلكين القليلين يعملون هم ايضا فى انتاج نفس البضاعة .

روما مرتبطة بهذا .

كنت مرهقة فى ذلك الصيف ونفسى نهب لاحلام مفزعة تتأجج وتخبو دون انقطاع .. تخنقنى فى صمت بلا درامية كاللجة التى ترتفع بالبحر عندما تمسه يد ريح ضالة دوارة ، وهكذا سافرت الى روما وهناك فى مقهى اقترب منى الرجل القصير الاصلع ذو عينى الساحر وسألنى عما اذا كنت فى حاجة الى مساعدة . عرفت انه فيلينى الذى يسحر بالصور المتحركة ، نحن الآن فى شهر سيفان والصيف مقبل ، لكن نفسى ضائعة فى رؤى التيه والنوم مجافينى وانا فى روما .

الحاجيات باردة خرساء وما لدى منها هرم فى معظمه . هى دائما مسترخية ونبيلة فى سكون انفاسها ، كنت أود ان اكون احدى الحاجيات ساكنة كالماء .

منذ حوالى ثلاث سنوات كتبت قصتى الاولى عن راحيل شطران .. عن لقائها الاول بفيلينى فى مقهى بروما وعن القصص التى تتخيلها لنفسها ..

احلام لا تنتهى على الاطلاق ..

والآن وحيث انه لا طلب هنا على الاحلام التى انتجها فاننى أحمل ميخائيل معى وأنا مسافرة الى روما ، اننى لا احب هذه المدينة فهى غير جديرة بالحب .. لكن فزع الصيف المرهق يعيدنى الى الرخام الابيض الفخم الاصم .. الى الحدائق المصففة بدقة لا تدع فسحة للانطلاق .. الى مياه الفسقيات السحرية .

قد يفضل ميخائيل التنزه فى شارع فينيتو فى الطريق

المتوهج بالاضواء ، ستحبه النساء ، انهن ينجذبن دائما الى رجال الجيش ، ان ميخائيل ضابط برتبة رائد ، فى المكان الذى يتواجد فيه فان الاحلام تكون من نوع آخر ، لـكننى أفضل ان اتجول معه فى شارع آفياه العتيق بين اشجار الصنوبر المثقلة بمئات السنين والتى لا يوجد الا القليل من مثلهـا فى اسرائيل . منـذ ثلاث سنوات كنت اقرب الى نفسى وكتبت قصة عن راحيل شطران ، اما اليوم فأنا غاية فى البعد لدرجة انه يمكننى ان اتكلم فى ضمير المتـكلم وانا أحكى بلا خشيـة كل القصص التى لا نهاية لها على الاطلاق ، القصص التى لا تصل ابدا الى هدفها .

انى اريد ان آخذ ميخائيل الى روما لبضعة ايام فى سبيل الراحة .

***

روما مرتبطة بالاشواق ، بالصياح .

لـكننى لا اعتقـد ان ميخائيل سـيتوسلنى ، انه لايحتاجنى ، بينما انا كالنبتة الطفيلية فى حاجـة الى عصارة أشجار الصنوبر الندية فى الشتاء ، كى أصبح سما او حلوى نادرة الوجود ، اننى فى حاجة الى نباتات خضراء مثلى فى هذا مثل حشيشـة الدينار التى تلف سيقانها على غيرها من النباتات لانها تفتقر الى الاوراق الخضراء والـكلوروفيل .. انها تستمد غذاءها ممن يستضيفها ، انها تجرده من عصارته وتأتى على قوته ، انى احكى لنفسى اننى سألتقى به الى جوار قبر ادريانوس واننا سنذهب فى الليل حيث نقضى سهرة ممتعة ونلتقى بفيلينى ذى عينى السـاحر والنجوم العديدة ، اننى لست مطلوبة هنا ، او ليس الطلب على الاحلام التى

انتجها معدوما ، هناك ساستطيع التمثيل فى الافلام ، كذلك يستطيع ميخائيل أن يلعب دورا ، ان الجياد واحزمة المسدسات ستناسب ميخائيل .. الرائد .

انني وميخائيل لم نلتق قط ، اننا نتحدث أحيانا فى التليفون عندما يلقيني الارهاق على اجهزة الاتصال فى عصرنا ، فى حديثنا الاخير قال لى : « تعالى الى » لكننى رفضت فسالنى : لماذا اذن اصر على الحفاظ على صلتى به ؟ كان فى مقدورى أن اجيبه غير انصاحبة المقهى طلبت منى انهاء المكالمة ، كان فى استطاعتى أن احكى له الى اى حد أشبه الرافلسياه الكبيرة التى تضرب جذورها فى جسم غريب حتى يتفتح برعم زهرتها فيه ولا تنفلت خارجا الا فى أوان أزهارها حيث تتفتح، ان قطر زهرتها يصل أحيانا الى متر ، لون تاجها أحمر مطعم ببقع صفراء تجذب الرائحة الاسنة المتصاعدة منها ذباب القاذورات فيحط دائما على جذعها .

***

كان فى مقدورى أيضا أن اقول له ان الصلة الجسدية هي غالبا العدو رقم واحد لاى علاقة لانها تؤدى بنا فى الواقع الى تحويل الحب ، كنت أود لو قلت له اننى اعرض عليه صداقتى وان التعرى ممكن أيضا عبر التليفون ، وانني بطريقة غير ملموسة تماما قريبة اليه لاننى اعيش حياتى أنا أيضا على حدود الصراخ واننى قد عشت وقتا ما على اعتقاد انه لا يمكن الاتصال بالآخرين الا من خلال الجسد ، لكننى لا أعلم ما اذا كان سيفهم ، وربما كان مثل هذا الفهم خطيرا عليه .

ان الفزع يقودنى الى روما ، كذلك الاشواق .

لقد زرت أماكن عديدة خلال السنوات الثلاث الماضية

كذلك زرت جبل فيلون باليونان ، انه يشبه شارع الاحباش فى القدس فى طبع جماله وفى الهدوء الوحشى الذى يخفى وحشيته ، قابلت اناسا كثيرين فى السنوات الثلاث الماضية ، لكننى لم اقابل فيلينى ولا ميخائيل، ولم أحضر الى روما وذلك لاننى لا أحبها ، لكننى الآن مكدودة واستمع الى الموسيقى أكثر وفى كل مرة اعود الى روما .. الى فيلينى .. احمل ميخائيل عند سفرى

فى احدى المرات كانت لدى حديقة الى جوار البيت، كنت اكثر من العناية بها لاننى أحب الزهور ، فى احد الايام رايتِ زهرة الايزداريخت وهى تزهر واعتقدت انه لا مثيل لها فى جمالها ولمعانها وطيب رائحتها ، انها تزهر فى الربيع لفترة قصيرة ، وغرست فى حديقتى واحدة ورحت انتظر ، عندما كبرت قليلا وبات هناك أمل فى ان تزهر فى الربيع التالى بدأ صاحب البيت يشكو ، كان يخشى ان تفسد جذورها ارضية البيت ، فى احدى الليالى تسلل الى حديقتى واقتلعها .

فى الحقيقة ينبغى فى مثل جونا حيث المياه قليلة ان يكون الانسان عمليا ، لا مهلة للانسان كى يفرغ لجمال البدر الذى يبزغ فى منتصف الشهر ، الن يهبط عليه قريبا رجال ويجرون دراسات مختلفة عن نوع البحوث التاريخية والاثرية التى يجرونها فى روما ايضا ، اننى احلم بالبدر لكنه لم يعد هناك فى الحقيقة طلب على الاحلام ، فى الجو القاسى لا تتوافر مهلة للانسان ، ومع كل هذا فاننى احمل ميخائيل معى فى خروجى ننتقل احيانا من مقهى لآخر نشرب الدرامبوى وهو ويسكى مخلوط بالعسل .

ان مذاق العسل يعيدنى الى حقول الصيف فانسى

فيلينى للحظة ، ان له نصيبا كبيرا فى أحلامى فى الفترة الاخيرة ، اقصد ميخائيل ، اننى أشعر انه من غير المناسب ما أفعله عندما اتخيل نفسى رافلسياه كبيرة او عش الغراب ، انها أشياء مطلوبة فى البلاد الفنية ، فهناك مكان للكماليات اما هنا فقليلون من يعرفون مذاقها ، الانسان هنا لا يمهل ، لا بد من الاصغاء للأخبار ، ان ميخائيل يريد ان احضر اليه ، انه لا يقدر اننا نعيش فى روما معا ، انه يريدنى ان احضر ، لكنه ممتنع عن الاتصال ، وعندما يكون راقدا فى الفراش مع امرأة فانه يحادث الاخرى فى التليفون وعندما ينهى المحادثة فانه يدير القرص على رقم آخر .

اننى ما كنت اصمد فى تجربة كهذه ، علنى كنت اموت ، ان الارهاق يدعونى للهرب ، لقد بدات اظفارى تتشقق كأظفار جدتى ، لقد كنت اسأل نفسى دائما : لماذا تنزف اظفار جدتى ؟ لم اكن اعلم ان الاظافر كالشجر الذى يقاس عمره بما يضاف اليه من شروخ ، اننى لن استطيع ان امثل فى فيلم مع فيلينى اننى لست شابة بما فيه الكفاية ، ربما استطاع ميخائيل أن يحصل على دور فهو رجل بارد ، اننى لا أعتقد انه يعرف التقبيل ، انه الآن وفى كل مرة يعود فيها يروح يبحث عن شىء آخر ، شىء مختلف لايرتبط به ، شىء يبدد الخطر فجاة مثلما فى لحظة التراخى التى تحل بالجسد بعد المزاوجة .

اننى مضطرة لاخذه معى فى خروجى ، انه سيحب روما ، الا تتظاهر هى الاخرى بانها باردة رخامية وشابة وكأنها قد نسيت فجورها القديم وفداحة ماجرته من نكبات وقسوتها الكريهة ، هناك فى فندق غريب

هرم متداع مسترخ وحر قد يتعلم أن يدرك ما هو الحب .

***

روما مرتبطة بالارهاق ..
روما مرتبطة بالاشواق ..

اننا نتحدث فى التليفون وهو يقول لى ان احضرى ، وعندما اقول له اننى واثقة من اننى لن أصل فانه يتحدانى فانه لا يقين الا من شىء واحد ، انه فى كل محادثاته تقريبا يذكرنى بان اى شىء غير يقينى فيما عدا ذلك الموضوع المعين والمحدد الذى لايعقبه شىء .

واننى اسائل نفسى اية احلام يحلم ميخائيل ، لقد حكى لى صبى انه حلم كيف وضع سريره فى حقل على العشب وكيف كانت هناك شجرة واحدة فروعها خيوط واغصانها تشتعل .

قد احكى هذا لميخائيل يوما ما .

لست اثق فى انه سيصغى .

فى القصة الاخيرة التى قصصتها عن نفسى كنت انستسياه دون اى صلة بالاميرة الروسية ، كنت امرأة تريد أن تخفى ذاتيتها وتأمل فى أن تبعث من جديد ، فى هذه القصة ايضا وصلت الى فيلينى وجردت عينا الساحر عنده روحى من سترها ، لكننى فى هذه المرة لم اصل وحدى ، لقد جئت فى صحبة رائد اجرى معه لقاءات تليفونية منذ بضع سنوات .

ان التخفى وراء اسماء مستعارة شىء مريح ، لكنه من المستحيل تقريبا أن احكى عن آخرين ، حتى عن ميخائيل يصعب على ان احكى، اننى فقط اجرى تغيرات ومع كل هذا فان هناك دائما شريكا فى هذه القصص

اخترمه لنفسى ، اى غريب لا اعرف عنه شيئا .. اى غريب كميخائيل يصعب الاتصال به ·· يستحيل المجىء اليه .. يبقى نادرا فى البيت ، اننى استمع الى مقطوعات موزار ، موسيقى مشحونة بالنكبات مثل حيـاتى ، موسيقى مرهقة .

. من وقت قريب وزعوا عندنا منحا مالية على الادباء ، الم يكن يمكن شراء مدفع بهذا المال ، يكفينا الخبز .. ان عش الغراب من الـكماليات تماما مثل الحب .

لقد بدات افكر بطريقة ميخائيل ، بعد قليل سأحب روما ، بعد قليل سيصبح تسكعها البـارد جزءا من نفسى ولحمى ، ان الرافلسيــاه الـكبيرة تستطيع ان تعيش بلا حيرة فى غابتها الخضراء الندية على الدوام .

لقد بدات اعتقد اننى ربما اجىء الى ميخائيل ، انه ربما لن اموت خرساء وغريبة عن نفسى فى فراشى .. انه قد لا يكون الجسد فى الحقيقة عدوا لاى ارتبـاط حقيقى .. انه لا مهلة لمسايرة الاحلام عن حب الارواح كما هو الحال بالنسبة لسائر الارواح .

روما مرتبطة بالارهاق
روما مرتبطة بالاشواق
روما مرتبطة باستصراخ النفس الى بعيد
روما مرتبطة بانكسـار النفس

او لست لا احب الا جبل فيلون فى اليونان وشارع الاحباش فى القدس لـكننى لا اصل الى هناك .

فى القصـة المقبلة سأسمى نفسى انستسياه دون ما ارتباط بالاميرة الروسية ساحكى عن امل امراة فى ان تبعث من جديد .. فى روما .. مع فيلينى وستكون القصـة بلا نهاية كذلك ، مثل الحرب.. مثل محادثاتى التليفونية مع ميخائيل .

تعليق . .

تقدم قصة « كان يمكن شراء مدفع » شكلا جديدا من التعبير عن رفض الواقع الاسرائيلى الملغم بنوازع الحرب والمنغمس فى بوتقة صناعتها الكريهة .

والكاتبة تكشف فى قصتها عن نوع من التمزق حاد بين احساس الانتماء الى هذا الواقع والارتباط به وبين احساس الانكار لما يشوبه من غلظة وقسوة .

ان تجربة الكاتبة مركزة أساسا – فى اطار التعبير عن هذا التمزق – فى دائرة التعبير عن غربة الآدمى المشحون بالمحتوى الانسانى والمزود بالقيم الانسانية المرهفة فى واقع منصرف الى النزعات المادية العملية المطلقة التى تفرغ الانسان من محتواه الطبيعى التواق الى التسامى وتفرض عليه احد اختيارين : أما التوافق مع واقع يخالف طبيعته بدافع الارهاق وفقدان القدرة على المقاومة ازاءه واما السقوط فى وهدة الاغتراب والعزلة الشخصية المدمرة .

والكاتبة تقصد فى تعبيرها الفنى هذا الى استخدام معادل موضوعى لواقعها .. معادل كان يحمل فى ماضيه خصائص وصفات واقعها الراهن ، هذا المعادل هو روما التى سيحبها ميخائيل الضابط رمز البرود الانسانى والشهوة المادية الطافحة والتجرد عن كل الحساسيات البشرية فى الواقع الراهن للتطابق القائم بين ماضيها « روما » وحاضره .. « الا تتظاهر هى

الاخرى « روما » بأنها باردة رخامية وشابة وكانها قد نسيت فجورها القديم وفداحة ما جرته من تكبات وقسوتها الكريهة » .

ان الكاتبة فى استخدامها لهذا المعادل الذى تعلق عليه صفات واقعها الحاضر انما تقدم تعبيرا شاملا عن رفض منطق القسوة والعدوان فى حاضرها الاسرائيلى وفى ماضى روما الرومانية المتجبرة المتغطرسة التى اصبحت تتظاهر بالبرود والشباب بعد أن هجرت ماضيها الكريه ، أو بعد أن فقدت سطوتها . ومع ذلك فان روما التى توحى بالقسوة ولا تخلو مصاحبتها من الارهاق والقيظ والكراهية المستوحاة من ماضيها .. تبدو محتملة اليوم عن الواقع الذى يمثله ميخائيل والذى ما زال طافحا بالقيظ والحرارة .

« روما مرتبطة بهذه المشقة .. بانكسار النفس .. بالحرارة لكنه لا تنبغى الشكاية ، فهناك حيث يقيم صديقى ميخائيل الحرارة أشد وأقسى » .

وفى سياق التعبير العام فى القصة تضمن الكاتبة صفات الواقع المنبوذ من جانبها ، فهو واقع مجرد من الحساسية الانسانية . . الطلب فيه على الاحلام الوردية غاية فى الضآلة ومن ينتجون هذه الاحلام فى الطمأنينة والسلام على قلتهم هم وحدهم من يستهلكونها فالواقع منصرف الى اشياء أخرى مخالفة .

« الطلب على أحلامى حاليا أقل مما كان عليه دائما . . ان المستهلكين القليلين يعملون هم ايضا فى انتاج نفس البضاعة » .

وهو واقع لا مكان فيه ولا مهلة لاحساس بالجمال فهو يقتلع الورود لانها قد تفسد الارضيات . . انه واقع

متبلد الاحســـاس يكرس نفســـه خارجيـــا وجوانيـــا لضرورات الحرب فحسب .

« فى الحقيقة ينبغى فى مثل جونا حيث الميــاه قليلة ان يكون الانسان عمليــا ، لا مهلة للانســان كى يفرغ لجمال البدر الذى يبزغ فى منتصف الشهر » .

والـكاتبة تطلق صيحة الانفصال والرفض لخصائص هـــذا الواقع .. انها تشعر بالاغتراب المتزايد عنه وبالطفيلية فيه لعدم تجاوبها معه ، ان غربتها عما حولها تمتد الى احساسها بنفسها التى كانت تمثـل جزءا متسقا من هـذا الواقع .. حتى انها قد باتت بفعل انفصالها عنه وعن موقفها القديم المتسـق معه قادرة الآن على تعريته وكشف آفاته دون ما احســاس بالخشية من المـكاشفة كما كان يحدث من قبل وهى على درجة من الاتساق مع حقائقه ومكوناته مما كان يملى عليهـا احساس الحرص عليه والتغطية على سوءاته .

« منذ ثلاث سنوات كنت اقرب الى نفسى ، وكتبت قصة عن راحيل شطران ، اما اليوم فأنا غاية فى البعد لدرجة انه يمكننى ان اتكلم فى ضمير المتكلم وانا احكى بلا خشـية كل القصص التى لا نهاية لها على الاطلاق ، القصص التى لا تصل ابدا الى نهايتها » .

ان الـكاتبة تطلق صرخة الرفض لتيار التجرد عن القيم الانسانية بحنجرة قوية ونبرة عالية « من وقت قريب وزعوا عندنا منحا مالية على الادباء الم يكن يمكن شراء مدفع بهـذا المـال ؟ يكفينـا الخبز .. ان عش الغراب من الـكماليات تماما مثل الحب » .

هكذا تنطلق الصرخة هازئة بذلك الاهتمام الذى يبدو زائفا استثنائيا غريبا فى نظرها بقيمة انسـانية كالادب..

ومشيرة فى صيغة السؤال الانكارى الساخر « الم يكن شراء مدفع بهذا المـال » الى المنطق الكريه السائد فى مجتمعها .. منطق الاهتمـام بالمـدفع عنوان الـدمار وتقديمه على سائر الاحتياجات الانسانية ، تقول الكاتبة مستنكرة ومدينة واقعها .. ابقوا على أموالكم للمدافع فلا حاجة لنا بالقيم الانسانية لانها عندكم كمالية تماما مثل الحب المفقود الذى لا يجد له فسحة ولا مهلة فى نفوسكم وفى اطار واقعكم .

الصمت ...

شمعون بار [1]

لزم الصمت ثلاثة أشهر ، كان فى مقدوره ان يصمت اكثر .. غير ان البعض حكى له عن عمانوئيل وبذا فقد الصمت مدلوله الوحيد وهو الهرب .

بقدر ما اتسعت رقعة البلاد وتجاوزت حدود الخرائط بقدر ما قلت الاماكن التى كان يمكنه الهرب اليهـا ، ثلاثة أشهر ملأ فيها كل الآخرين كل الاوراق بكتابات مزدحمة محتشدة واغرقوا فيهـا انفسهم والآخرين ، لزم الصمت ، كان يجيب واحساس الخجل يغمره : « ليس لدى ما أقول » كان لدى وربما سيكون ولـكن ليس لدى الآن ما أقول » .

بعد ذلك حكوا له انهم قد وجدوا عمانوئيل .

ما عاد يمكن ان يكون هناك شيء غريب أو غير عادي؛ أصبح الخيال واقعيا تماما لان البعض قد اهتم بالبحث عن عمانوئيل بعد ما لم تعد هناك كلمة تقال .

ولقد ظن انه لن يستطيع بعد ان يكتب شيئا .

والآن بينما فرش الرسم الخاصة بعمانوئيل .. هذه الفرش التى لم يرها قط .. مثلها فى ذلك مثل أشـياء كثيرة يعلم عن وجودها دون ان تكون لديه براهين على

(1) معاريف ١٩٦٧/١١/١٠ .. الملحق الادبى .

ذلك، الآن اصبحت لوحات النسيج التى أقامها مبسوطة فى فراغ ابيض ، يقولون عنه انه كان يحب الحياة ولكن شخصا بأعلى « بعيدا تماما » قرر أن حب الحياة لا يكفى لترتيب حقوق فيها .

***

كان الصمت اسهل الطرق مثل الهرب مثل فرش الرسم الخاصة بعمانوئيل مثل اسئلة بلومه ..

وجدوه ممتزجا ومختلطا بجزئيات احدى الدبابات ، كان من المستحيل معرفة اين تبدأ جثته واين تنتهى جثة الدبابة ، لم يبق على أصله الاول سوى الاشلاء وقطع الصلب المغطاة بالتراب ، أما سائر الاشياء فكانت منتمية الى الماضى كالدودة المتحجرة ، أما الحاضر فقد كان الذباب ، ذباب الجيل فى بداية الوجبة الفظيعة .

قالوا انه لم تكن له فتاة ومع ذلك فقد كان شابا لان الشباب بالنسبة له كان صلة تكاد تكون جنسية مع فرش الرسم والانسجة .. ولقد عرفت الالوان شبابه اكثر من كل الفتيات .. ربما كانت هى الفتيات . بقى اربعة أيام فى الجنوب بعد ان صدر اليه أمر يقول « المدرعة .. تتحرك » غير ان دبابته لم تتحرك .

كان يبدو انه سيسجل لنفسه حربا أخرى يمكر فيها على من حدد العناوين على ظهور القذائف ، كانت ماتزال هناك بعض الاعشاب الزائدة على اطراف الخريطة فى حاجة الى الاقتلاع والتشذيب .. وبعد ان اتم الجميع تصفية المناطق التى حددت لهم بقيت له هو زاوية منعوه من العودة منها ، ولم تبق لبلومة سوى الاسئلة ، مثل صمت الآخرين .

جلس أمامها وراح يشرح لها فى حديث كأنه يجرى

بين بالغ وصبيــة انه لا صــدف فى العالم ، ان العلم لا يعتــرف بالاعاجيب وليس صــدفة ان الشــبان هم وحــدهم الذين لا يعودون من الحروب ، ان معــادله حســابيه بسيطة تقول ان من يذهبون هم فقط الذين لا يعودون .

***

وبعد ذلك عندما تتوقف الاسئلة وتصــبح الســاعة متأخرة « ويتواجب الاستيقاظ لممارســة حيــاة اليوم الجديد » يمكنه عندئذ أن يبقى داخل الصمت لان هذا الاحساس بالذنب يتمكن من قلبه ومن لوحات النسيج الخالية « انني لم أطلق النار عليه .. ولــكنني عدت » .. « كان ينبغى العثور على الطريق بينما كانت ســائر الدبابات تنتظر فى منعطف الطريق ، كان كل منعطف صخرة وكل طريق فخا ، كان المحرك يدور بأقصى طاقته والجنــازير تحفر الصخور .. وفى الوســط بينهما كان الغبار يغطى زجاج منظاريهما .

منعطف آخر ، وفى الناحية الاخرى من حقــل من الصخور ولدت امامهما فجأة ساق الموقع ، وبعد ذلك انتظرا حتى انضمت اليهما القافلة .. القافلة بأكملها ، من خلال المزاغل الضيقة لم يكن يبــدو أن هناك شيئا يضاف الى نوبة العمل .

رسميا انتهت الحرب ، قال واحد ساخرا فى الداخل كل من يسقط الآن يسقط بصورة غير رسمية .

ومرة ثانية انغرزت الجنازير ورفض الموقع ان يقترب كانت الجنازير وكأنها تدور حول نفسها جاهدة فى ابتلاع الاحجار وارتقاء الصخرة التى كانت تصب عليهم النيران على هذه الحال يبــدو الصلب عنــدما يتولاه الفزع ،

وعندئذ أصيب الجنزير وتمزق فتعرت العجلات وغرزت في الرمال ، واغلق الطريق ، وحاول البعض من الخلف ان يدفعهم الى جانب الطريق لاخلائه كي يمر الآخرون، لكى تصف اصابة قذيفة لنقطة التلاقى الواقعة بين جسد الدبابة والبرج فانه يلزمك كثير من الحبر وعديد من الاوراق واكثر من هذا بكثير من دخان السجائر ، وحتى توضح وتبين هذه الاصابة التى تحيل الصلب الحى الذى يتنفس الى قطعة صماء من الحديد الخردة فانك ستحتاج الى الرسم ، ولقد كان الرسام بالداخل.

ربما كان هذا هو سبب صمته .

تعليق

تطرح هــذه القصــة بعــدا مكملا يسهم فى الكشف عن ابعاد ظاهرة العزلة واليأس لدى الانسان الاسرائيلى، فهى تتعرض لازمة المحارب الاسرائيلى الذى يعود سالما من الحرب منتصرا وقد اضاف الى الخريطة الاسرائيلية حــدودا جــديدة . فهــو يعود لا ليتهلــل ويحتفــل بانتصاره ، بل يعود ليلتزم الصمت ويقع فى احســاس من العزلة والــكآبة ، يقع فى هذا الاحســاس لان النصر العــسكرى مهما بدا ممكنا ومطواعا للجانب الاسرائيلى فى ظروف معينة من غفلتنا وضعفنا الا انه يفرض ضريبة من انفس المحاربين الاسرائيليين ، ضريبة يمكن ان تكون أقدح لو استجمعنا انفسنا .

ان تجربة الــكآبة والحزن العميــق التى يعايشــها المحارب الاسرائيلى المنتصر والتى ستزداد وضــوحا فى الفصول التالية. . هى نتيجة لشىء واحد اسمه صلابة المقاومة وفعاليتها فى فرض الضريبة المرتفعة على العدو حتى فى معارك انتصاره .

فهذا هو الطريق الاساسى الذى يمكننا به ان نحيل ظاهرة العزلة والــكآبة واليأس الجزئية اليوم فىاسرائيل الى ظاهرة شاملة ماحقة لنفس كل محارب فيها .

بعد جديد في ظاهرة العزلة واليأس

● الحالة :

بنيناه عاميت

● العلمين :

يعقوف شافيط

فى الفصل السابق خلصنا من بحثنا فيما قدمنا من نصوص ادبية الى دلالات يمكن أن تكون عامة تشير الى طبيعة البنية الاجتماعية المتفسخة داخل المجتمع الاسرائيلى والى الانعكاسات السلبية التى تلقيها سياسة السلطة الاسرائيلية البرجوازية فى حروبها ضد العرب على قطاعات من الشباب الاسرائيلى الذى يشعر انه يساق الى ميادين القتال وقودا لهذه الحروب التى تحركها وتدفعها عجلة الاوهام العنصرية والاطماع الاستعمارية .. فيسقط فى دائرة العبثية والضياع .

وفى هذا الفصل نتجه الى إستكشاف جانب آخر من آثار الحرب التوسعية وما تلقاه من مقاومة عربية على نفسية الانسان الواعى داخل المجتمع الاسرائيلى ، وقبل ان نمضى فى المحاولة لا بد من التأكيد على العامل الحاسم فى خلق هذه الآثار والانعكاسات لدى الانسان الاسرائيلى .

ذلك ان رد الفعل العربى المقاوم على ارض الساحة العسكرية ـ وان كان محدودا وفى اضيق الحدود الواجبة ـ هو المرد الاساسى لهذه الانعكاسات وليس وعى الانسان الاسرائيلى بعدوانية الحرب التى يشنها ساسته ، وذلك لانه لو لم تلق اطماع السلطة الاسرائيلية جوابا عنيفا قاسيا من جانب العرب .. لاسترخت كل الاعصاب فى اسرائيل ولانفثأ وعى الواعين بعدوانية السلطة الاسرائيلية ولتفتت الجماعات المنادية بالسلام

مع العرب ولتحول الشباب الساقط فى وهاد اليأس والفزع من أهوال الحرب الى أدوات استثمار نشيطة آمنة على أرضنا وتحت سمائنا .. أى انه لو لم يكن للمقاومة وجود لركن الكل الى قطف ثمار العدوان .. ولاختفت كثير من الظواهر الاجتماعية السلبيــــة فى اسرائيل بفعل المكاسب الاقتصادية الهائلة التى يمكن حصادها من أراضينا المحتلة اذا سادها الهدوء وخمدت انفاس النضال فيها ، وهذا فى الواقع هو أهم الدروس المستقاة من هذا النوع الذى نجريه من الدراسة .

فى هذا الفصل نعرض لنموذجين أدبيين من القصـــة القصيرة يتشاركان فى الكشف عن ابعاد ظاهرة اجتماعية واحــدة مترتبة على اســتمرار المقــاومة من مدخلين مختلفين .

عند الـكاتبة بتيناه عاميت وفى قصـــتها المنشـــورة بالملحق الادبى لصحيفة معاريف الصادرة فى ١٩٦٩/٧/٤ تحت عنوان « الحالمة » نلتقى بكشف باطنى عن بعــد جديد فى ظاهرة اليأس والعزلة فى المجتمع الاسرائيلى ، انه بعد الخوف الذى يضرب عميقا متأصــلا فى باطن الانسان حتى ليصبح القاعدة الموجهة لحياته .

تفتتح الـكاتبة قصتها على النحو التالى :

« أسكن فى بيتى ، زوجة لزوجى ، اذهب لعملى ، اعود ، اجد صعوبة فى ان أنام ، أحيانا ينتابنى كابوس وانا نائمة فيصعب على الخروج فى الصبــاح ، ومهما حاولت أن اعمل وان أرى وان افهم بقى مذاق الاحلام فى فمى .. فى عينى .. فى ملمس يدى .

حزن يخرج من أحلامى وينسكب على كل ايامى .

انني معزولة وافكارى مع نفسى .. زوجى ينظر فى

ويعود الى أشغاله ، علّه يخشى ان اقول اننى غير سعيدة بعد عامين من الزواج ، عندما يمسنى حزنه أحيانا .. أطلعه على افكارى ، ماذا تفيد كلمات الطمأنة وقلبى مليء بالحرب والموتى .

عندما سألنى .. عندما تجاسر وسألنى : « هو من طبعه الجمود .. بطىء دائما .. بنظر الى فى دهشة» : لماذا لا اريد اطفالا ؟ « كذبت عليه فقلت لنعش عاما آخر لانفسنا » .

هكذا تكشف الكاتبة عن بعد الخوف فى حياة المجتمع الاسرائيلى .. خوف لا يقف عند حد عزل الانسان بذاته كوحدة حية كما لاحظنا فى الفصل السابق .. بل انه يتجاوز ذلك هنا ألى ضرب حصار على لاوعية بما يرسخ فى وجدانه احساسا بعبثية اتجاهه الى توليد امتدادات بشرية له وبذا يحول بينه وبين تجديد الحياة فى ابسط صورها وهى الصورة البيولوجية .

ان الخوف الذى يسيطر على الانا القاصة فى قصة « بنيناه عاميت » يئد فى نفسها كل ميل طبيعى نحو الامومة ويشل طاقتها النفسية على الانجاب .

ولكن عن أى باعث يتولد هذا الخوف الرهيب ؟

« اقامت امى وليمة لاخى عند ماعاد ، تزوجت امى ثانية ، وهذا ابنها اخى ، كان رفاقه يحكون عن بطولته لجيراننا ، نكس اخى عينيه ، ما الذى يفكر فيه حقا هذا الفتى .. بماذا يحس ؟ اننى لا اعرفه مطلقا ، لماذا لا تقولين شيئا ؟ سألتنى امى : لماذا لا تشاركيننا ولو مرة فى أفراحنا ؟

اننى تعبة يا أمى ، ولم لا تدركين ان قصص البطولة فى الحرب كريهة الى نفسى ؟ ما هذا الذى تتحدثين عنه ..

ما هذا الذى تمزجينه ؟ ما هذا الذى تضاهينه ؟ .. اليست هذه هى الحرب ، اننى لا افهم الموت وان كان هو الشىء الوحيد فى الحياة الذى يتجاوز حدود الشك.

الموت وحده مفهوم عندى اقل من اى شىء .. اعجب عندى من كل شىء .. كريه لدى اكثر من اى شىء .. يخيفنى ، يهزنى ، كل يوم وكل ليلة فى احلامى التى لا تفارقنى ، منفصل عن كل شىء .. يقينى فوق كل شىء .. مرئى ومنظور ومسموع .. مستشعر ومحس ومدرك .

عينا أخى منكستان بينما رفاقه يغدقون الثناء عليه.

ربما استطعنا ان نتحدث مرة عندما أدعوه الى السينما .

ولماذا لا يكون لى حفيد فى النهاية يا ابنتى ؟ قالت امى .. ولذت أنا بالصمت » .

هكذا تقدم الكاتبة الجواب .. انها تكشف فى وضوح عن أبعاد هذا الخوف وبواعثه .. انه خوف ناشىء عن الواقع الراهن .. واقع الحرب ، ذلك ان الانا القاصة تشعر بالعزلة المطلقة تجاه أحاديث الاطراء والثناء عن أخيها فى الحرب مما يجرى على ألسنة الجماعة المحتشدة للاحتفال بعودته ، وذلك لوعيها بالجوهر الحقيقى الذى ينطوى عليه واقع بطولة اخيها ، فهو عندها ليس جوهر المجد والفخار انما جوهر الفناء والموت ، وهى تخشى من الموت ، تخشى منه على نفسها وعلى أخيها ، وفوق ذلك يمتد هذا الخوف عندها الى وليدها الذى لم يتخلق بعد فى احشائها ، ولذا فهى تقاوم الضغط الاجتماعى من زوجها وأمها اللذين يحفزانها الى الانجاب بعد أن ترسب الخوف فى أعماقها واستحوذ على باطنها ولاوعيها .

« فى احدى الليالى منذ سنوات عديدة .. كنا انت يا امى وانا واخى الصغير وابى داخل حفرة .. فى صراخ ورائحة شياط ووجوه مذعورة وصوتى ضائع من الفزع بينكم جميعا وسط الدمار والريش المتطاير المرتعد والنار المحيطة بنا ، وهربت الى حقل بينما شعرى يحترق وساقاى مجروحتان .. لم انجح فى طى ماضى داخلى .. وطفولتى تصرخ من احمى الحى .. من عينى وهما تنظران حولى، فلا تريان شيئا لان كل شىء ينهار، يداى لا تمسكان باى شىء ، فكل شىء يحترق ، قلبى لا يتعلق باحد ، انثى مليئة بالموتى ورائحة عفنهم تفوح من كل شىء ، ولكن الليلة حلمت ثانية بنفس الحريق والزلازل ورائحة شياط ووجوه شاحبة وهزة غاية فى القوة اطاحت بى وقذفتنى من على الرمال بعيدا الى داخل انقاض، وحطام ليجثم فوقى شىء ثقيل ، كانت ساقاى مشققتين ويداى متقيحتين وعيناى ملتهبتين ورائحة كريهة تفوح من شعرى .

فجأة اقتربت منى امى وبين يديها رضيع ، اخى الحى والى جانبها ابى .

واستيقظت من النوم لشدة الانفعال، ولم يعد زوجى لثلاث ليال ، شىء غريب ، لم يطرأ على ذهنى انه سيفعل بى هذا ، لقد اتيحت له فرصة ، كان فى مقدوره ان يسحق كل موتاى ، زوجى ، بيتى ، ولدى » .

بهذا تنهى الكاتبة قصتها وقد أوردناها كاملة بترتيب فقراتها .. ان الانا القاصة كما يتضح من الفقرة الاخيرة تستشرف مستقبل وليدها فى مصير اخيها البطل ، ان المصيرين عندها مصير واحد عنوانه الدمار والفناء ، وسر معاناتها كامن فى التوحيد الذى

يتم فى باطنها بين واقع أخيها ومستقبل وليدها ، هكذا تكشف الكاتبة عن الحالة ، فالانا القاصة خاضعة لمخاوف الحرب بدرجة بالغة تترجم معها هذه المخاوف فى باطنها الى أحلام مفزعة تظلل عالمها كله بالخراب والفناء ، وفى بؤرة هذه الدائرة من المخاوف يقف خوفها على اخيها المحارب .. وطالما كان جزعها على اخيها المعرض للخطر يترجم فى لاوعيها بعملية توحيد بينه وبين وليدها الذى لم تتهيأ له أسباب الحياة بعد .. فقد ظلت محجمة عن الاخذ باسباب الانجاب ، ولكنها عندما تستبصر فى أحد أحلامها كنه عملية التوحيد هذه بين الاخ وبين الوليد .. عندما ترى أمها فى حلم الحرب والدمار تحمل اليها وليدا تعرف فيه أخاها الحى .. تصحو على ادراك لطبيعة المانع النفسى الذى يحول بينها وبين الاقدام على الانجاب ، وفى لحظة الكشف النفسى هذه تصبح قادرة على استقبال زوجها ليسحق بقايا الخوف من نفسها باستيلادها الوليد ، غير أن الكاتبة تقطع فى نهاية القصة بأن الزوج لم يأت فى الوقت المناسب وان فرصة قد فاتته ليسحق مواتها وخوفها ، وفى هذا اشارة الى استمرار هذا الخوف وتمكنه .

ان الكاتبة تكشف فى قصتها عن بصيرة سيكلوجية قادرة على النفاذ الى أعماق الانسان الذى تستمد موضوعها من تجربته ، وهى فى قصتها التى تحتوى على شحنة انفعال بادية الصدق بالحالة التى تصورها .. تشير الى طريق الخلاص من حالة الخوف هذه ، وهو عندها طريق باطنى بين الانسان وذاته ، طريق الاستبصار الداخلى بمكونات خوفه وكوابت حركته وبالتالى تملك القدرة على كسر قيود الخوف وتجاوزه .

ان البعد الذى يكبح مبل الانسان الى استحضار امتدادات بشرية له لا يبدو بعدا ثانويا مقصورا على نفس الاديب الحساسة وما تصدر به من تعبير ادبى .. بل انه يبدو فاشيا بين قطاعات من الجماهير الاسرائيلية ، ومما يؤكد هذا عندنا تكرار التعبير عن نفس البعد لدى اكثر من اديب من ناحية والمحاولة العامدة الى علاج اثره بطرق الاعلام الاسرائيلية المختلفة بما فى ذلك الادب الموجه من ناحية أخرى .

وفيما يلى نقدم تناولا ادبيا مختلفا للظاهرة نفسها فى قصة يوحى بناؤها بالقصد العمدى نحو توجيه الجماهير الاسرائيلية فيما يتعلق بهذه الحالة النفسية التى تمثل فى انتشارها ظاهرة اجتماعية تدخل فى باب الامراض النفسية الاجتماعية ، وهى ظاهرة لها خطرها بالنسبة لمجتمع يسعى حثيثا الى زيادة طاقته البشرية كالمجتمع الاسرائيلى .

فى قصة بعنوان « العلمين » للقصاص يعقوف شافيط نشرت بالملحق الادبى لصحيفة ها آرتس ١٩٧٠/٩/١٨ : فلتقى بكشف عن ظاهرة العزوف عن الانجاب بفعل الخوف من الحرب فى المجتمع الاسرائيلى يختلف عن الكشف الباطنى الذى قدمته كاتبة قصة « الحالة » ، فهنا يورد الكاتب الظاهرة ليس من خلال موقف المنغمس بل من موقف المراقب من الخارج مع الاحتكام فى تقييمها الى معايير الاخلاق والضرورات الاجتماعية استهدافا الى اقناع الواقعين فى هذا النوع من الخوف الى التخلى عن مخاوفهم والاستجابة لاحتياجات الحياة الاجتماعية .

فى قصة العلمين لايصور الاديب الحالة فى اطار الواقع

الاسرائيلى الراهن بل يعمد الى تهيئة القارىء لتلقى التوجيه من مسرح زمانى متقادم بعيد .. كى لايشعره بانه أمام محاولة متعمدة لتوجيه سلوكه والتأثير فيه . والكاتب الى ذلك يلجأ فى صياغة المضمون الذى يريد اداءه الى حيلة على قدر كبير من البراعة ، فهو يسوق المضمون الاجتماعى فى سياق حدث يروى على لسان الانا القاص ويتعلق بشخصه كى يصل بالقارىء مع آخر جملة فى القصة الى حالة من الصحوة على سلبية الظاهره اشبه ما تكون بالانفجار العاطفى المؤيد للانجاب والاحتفاظ بالاجنة فى الارحام حتى تولد وتشب فتيانا مقتدرة تشارك فى الحياة .

يفتتح الكاتب قصته على لسان الانا القاص صارفا انتباه قارئه عن محاولة التوجيه على النحو التالى :

« فى اكتوبر ١٩٤٢ انقذت عمتى ايطه البشرية ، فى ذلك اليوم وبينما كانت امى تسير فى شارع هرزل لمحت فى وسط الشارع خلف المدرجات العمة ايطه ، كانت العمة ايطه تقف مع نحماه برومقين تحت المظلة الخضراء الممتدة فوق واجهة أحد محال الاقمشة ، ومن ظاهر وجهها كان يمكن أن يفهم المرء على الفور انها منهمكة فى القاء موعظة اخلاقية تربوية » .

هكذا ينشىء الكاتب لرسالته اطارا زمنيا بعيدا ويهيىء لها الرسول الموثوق به فى شخص العمة ايطه السيدة كريمة الخلق الداعية الى السلوك القويم .

وبعد بث الثقة فى أهلية الرسول لحمل الرسالة .. يتجه الكاتب الى الكشف عن جوهر الحدث الذى يصب فيه الرسالة مع التأكيد على مسرحه البعيد فيصل السرد على النحو التالى :

« تسمرت امي فى مكانها للحظة وهى تبحث عن مخرج من الكمين ، كانت شمس الظهيرة شديدة الوطأة فى ذلك النهار ، كان ذلك نهار يوم الثالث والعشرين من اكتوبر ، كان رومل يدفع بدباباته تجاه العلمين وكان الجنرال مونتجمرى يضع هو الآخر قلنسوة سوداء على راسه وينظر فى خرائط الصحراء ، كانت الصحراء مظلله بسحابة من الغبار كبيرة تتحرك داخلها الدبابات الداكنة مثل ألوف من النمل خرجت من أوكارها لتصل فى كل اتجاه ، القت امى نظرة على الساعة ، كانت عقاربها تتحرك فى الدائرة ، وانبعث الى مسامعها عويل الراديو من مكان ما ، كان من الواضح لها ان العمة ايطه ستتلكا تحت المظلة لحظات طويلة .. فلم تكن حركة يديها قد وصلت بعد الى قمة الحماس ، كانت المشكلة كامنة فى ان العمة ايطه كانت تقف تماما امام مدخل الممر المؤدى الى عيادة الدكتور هانس شميدت وما كان يمكن الانفلات الى الداخل دون ان تلحظ من يمر أمامها ، كان لابد ان يجذب احد انتباهها كيما تعبر أمى الشارع قادمة من الجانب الآخر وملتصقة بالحائط لتختفى فى ظلال الممر ..

ارسلت امى عينيها فى يأس فيما حولها غير ان احدا من الاقارب أو المعارف لم يمر لينقذها ، بحثت عن منديل كى تجفف العرق عن جبينها وسلمت فى وهن بمزيد من الزمن ليحل المشكلة ، شعرت بقرص شديد فى بطنها وانتابها احساس بالقرف والرغبة فى التقيؤ ، تجهم وجه السيدة برومقين على الناحية الاخرى وراحت تدبدب بقدميها ، استندت امى الى عمود قريب وجعلت تطل على المراتين وقد ظهرتا أمامها كظلى شجرتين بعيدتين تحركهما ريح لافحة فى مكان ما على حافة صحراء

قائظة ، مرت بضع سحابات بأعلى .. كان سراب الظهيرة يحلق فوق المياه وهبت رياح باردة من البحر معتلية ظهر الجبل » .

بهذه الفقرة يحدد الكاتب موقف الام من القيم الخلقية .. ويهيىء القارىء لكى يدرك ان موقف الام فى تخوفها من العمة ايطه الرسول وتواريها منها انما ينطوى على مجافاة للأخلاق والقيم ولذا فهى تتحاشى لقاء العمة حتى لا تقف موقف السيدة برومقين التى تنال وابلا من التقريع لانحراف زوجها عن سبيل القيم .

« الآن مضت السيدة برومقين الى الامام وشعرت امى انها تعتصر فى مكانها ، كانت تحس على شفتيها بطعم مالح وهى تحدث نفسها عما ينطوى عليه الامر من دواعى السخرية ، دارت العمة ايطه فى مكانها مترددة فيما يبدو الى أين تذهب ، جعلت تنظرها هنا وهناك وهى مادة عنقها ، فانكمشت أمى فى طيات الظل والقت نظرة على الساعة ثانية وبطنها تتوجع من الطعنات ، قامت العمة ايطه ببضع حركات فى اتجاهات مختلفة ثم بدأت ترتقى الطريق سمينة وبطيئة ، ولم تتمهل أمى ولا لحظة واحدة .. فقد اتجهت فى عجلة ناحية الممر تريد أن تستغل ميزة المفاجأة ، وعندما أصبحت تحت المظلة ولم يعد امامها سوى بضع خطوات حتى تصل الى الممر الذى تظهر فى مقدمته لوحة الدكتور شميدت البيضاء .. استدارت العمة ايطه على عقبيها فى حركة كبيرة فاصطدمت نظرتها المحلقة بصورة أمى الشاحبة ، فتنهدت واستجمعت قواها مسرعة اليها بذراعين مفتوحتين .. سارة ! الى أين تذهبين ؟

توقفت امى واحست وكان الهواء قد نفد من رئتيها

وانتصبت مستعدة للصدام ، ياله من حظ حتى أراك ٠ انك مختفية منذ شهور ، كيف حال اسرائيل ؟
بخير .. قالت امي : شكرا انه ياتى احيانا لبضع ساعات ثم يرحل ، مالت العمة ايطه بوجهها لتنظر الى السيدة برومقين وهى لا تزال فى أفق الشارع ، كنت منذ لحظة اتحدث مع نحماه برومقين ، هل تعرفينها ؟ لقد قلت لها ان زوجها « شرموط » (١) . هذا بالضبط ما قلته لها : انه الآن يعمل فى السوق السوداء وسط الحرب الكبيرة فى الصحراء .
قالت أمى فى اعياء :
ـ نعم ٠
سالت العمة : الى اين انت ذاهبة يا سارة ؟
ـ مررت من هنا مصادفة .
تفحصت العمة ايطه وجهها جيدا وكانها كانت تفحص شريطا ممتلئا بالرسوم المتحركة ٠٠ ضاقت حدقتا عينيها وقالت فى دهشة : انك شاحبة للغاية .. هل انت مريضة ؟ كلا .. قالت امى وهى تدرك الآن انها لن تنجو من الكذب ، كل شىء على ما يرام تماما .
ما معنى على ما يرام تماما !! هل ترين كيف تبدين٠٠ انك شاحبة كالطباشير ، تمتمت أمى.. هذا من الحرارة
ـ هراء ٠٠ أية حرارة ؟ اليوم حار ؟ اننا الآن فى الشتاء ، ماذا بك ؟
لا شىء .. كيف حال حاييم ؟ غير ان عملية صرف الانتباه لم تغر العمة ايطه .. صوبت راسها تجاه المر، وانحبست أنفاس امى ، وللحظة ساد صمت عميق .. صمت الانتظار ، وبعدها دوى صياح العمة ايطه .. هل انت ذاهبة الى الدكتور شميدت ؟ وحركت امى

---
(١) هكذا وردت بالنص العبرى .

راسها فى وهن علامة الايجاب .
ـ ماذا حدث ؟
ـ لا شىء .. لا شىء .
شعرت بمغص فى بطنها .. صافحت العمة .. ان دورى يحل بعد دقيقة .
ـ سادخل معك .. قالت العمة ايطه فى حنان بالغ وهى تمسك بمرفقها :
ـ لا ضرورة لذلك فكل شىء على خير ما يرام ، سأصعد للطابق الاول .
ـ طالما اننى لن أذهب الى مكان خاص .. فلنتحدث بالداخل .
ـ كلا ! قالت أمى فى عنف ، وكشفها وقع صوتها العنيف ..
غاصت فيها العمة ايطه بعينين مستريبتين .. ثم عادت فألقت نظرة اخرى على أمى التى كانت تمسك ببطنها ، ورفعت راسها وقرات حروف اللافتة .
وبحركة حادة قفزت من فوق الاسفلت ودارت حول أمى تسد مدخل الممر فى وجهها » .
هكذا يتكشف الحدث .. فالام حامل ذاهبة الى الطبيب لتجهض حملها ، ويبدأ الصراع بينها وبين العمة رسول الاخلاق بكل ما يثيره هذا ابتداء من احساس التأييد لدى القارىء لموقف العمة حفاظا على الجنين .. لتمضى عجلة السرد بعد ذلك فتفصح عن دوافع الام الى هذا العمل وتدحض هذه الدوافع لدى الام فى القصة وفى نفوس الحوامل الاسرائيليات اللائى يتجهن الى افراغ ارحامهن بفعل الخوف اليوم .
« لم يكن هذا فى الحسبان .. قالت العمة ايطه

بصوت قاس : هل جننت ؟
ـ انني مضطرة .. قالت امي :
ـ لم يكن هـذا فى الحسبان .. قالت العمة ايطه ثانية : انني لن اسمح لك بذلك .
ثم صرخت فجأة : لن تمرى الا على جثتى ..
ـ انني أستسمحك .. قالت أمي فى وهن

كان فى الشارع عدد قليل ما بين غاد ورائح .. بينما ظهرت فى اسفل الشارع بالبحر بعض السفن الحربية ، وفى مكان ما بالصحراء الكبيرة كانت الدبابات يصيب بعضها بعضا والارض تتزلزل ، كان الناس ينتظرون اخبار ال ب.ب.س. بفارغ صبر وكان الدخان الاسود يتصاعد من مصانع التكرير .

لم تتحرك العمة ايطه من مكانها وظلت ثابتة كالصخرة التى لايمكن زحزحتها .
ـ لا خيار لى .. قالت أمى
ـ بل لك الخيار .. قالت العمة ايطه فى صـوت صارم .. عودى الى البيت .

ـ انني مضطرة اليوم لاخذ الحقنة الثالثة ، قالت امى .. وبهذا تكون النهاية .
ـ هل اخذت حقنتين قبل ذلك ؟
أومات امى براسها .. هذه الحقنة الاخيرة .
ـ قاتلة ! هذه حقيقتك .. قاتلة ! قالت العمة فى غضب » .

هكذا يصدر الكاتب حكمه الاخلاقى على موقف مثل هذه الام على لسان العمة الرسول .. وبهـذا تكون الادانة الخلقية لها كاملة امام القارىء والقارئة فى المرتبة الاولى.. ليدلف بعد ذلك الى تحليل دوافعها ودحضها

بالمبررات الاجتماعية الداعيــة الى الانجاب فى المجتمع الاسرائيلى .. وعلى رأســها مبرر تعويض الخســارة البشرية فى الحرب بمواليد جدد .

ـ لا خيار لى ، قالت أمى فى اعياء .. كانت شفتاها متشبعتين بطعم مالح وكان عليهما راسب من ملح حادق، لا ينبغى لى ، تمتمت امى .

ـ ماذا تعنــين بانه لا ينبغى لك .. لوحت العمــة ابطه بيديها فى بطء .. ما هذا الذى لا ينبغى لك ؟ ! ان ما لاينبغى لك هو دخولك الى هذا القاتل لتأخذى الحقنة ، هـــذا هو ما لاينبغى لك ، انتظرى أنت فى الخارج وسأدخل انا اليه ، أنتظرى ، ايعطى مثل هذه الحقن فى وقت الحــرب ؟ ! بينمــا الرجــال يموتون كالذباب ! !

ـ هذا هو لب الامر تماما ، قالت امى : لا ينبغى الآن احضار أولاد الى العالم .

تنفست العمة ابطه ونفخت فى تثاقل ، مدت يديها فرتبت شــعرها المتهدل . كانت العمة تفيض بالعزم والتصميم ، غير ان امى الاصغر منها كانت عازمة هى الاخرى.. فخطت خطوة تجاه مدخل الممر غير انِ العمة امسكت بها .

ـ ماذا تفعلين ؟

ـ ذاهبة الى الدكتور شميدت ، قالت أمى .

ـ انك لن تذهبى .. صححت لها العمة ابطه ماقالت كان صوتها جاداً ومفعما بالثقة .

ـ ان لى دورا ، قالت أمى .. لا ينبغى ان اتأخــر .

ـ اسمعى ! قالت العمة ابطه فى عناد وهى تغلى . اذا دخلت اليه فاننى سأثير فضيحة فى كل المدينة ولن

تستطيعين أن تطـــلى بوجهك خارجا بعد ذلك ، انك تعلمين اننى استطيع ذلك .

وتراجعت امى قليلا فى تصلبها .. وقالت :

ـ لا تكونى عنيدة يا ابطه .. انك تعلمين مثلى تماما انه لا ينبغى احضار أولاد للعالم فى مثل هذا الزمن .

ـ على العكس .. قالت العمة ابطه وهى تتحرك يمنة ويسرة .. اننا الآن مضطرون الى أحضار أولاد للعالم ، فهذا هو الزمن المناسب .

ـ بينما هناك حرب ؟ !

ـ بالذات عندما تكون هناك حرب ، الا تعتقدين ان مونتجمرى سينتصر ؟

ـ اننى لا أفهم فى هذا ، قالت أمى ، حتى اذا انتصر فان الحرب ستستمر وسيموت رجال كثيرون آخرون.

ـ لهذا ينبغى انجاب الاولاد .. كى يحلوا محل من ماتوا فى الحرب .

ـ لماذا ؟ صاحت امى فى يأس ، لـكى يعيشوا هم الآخرون داخل الحرب دون طعام حتى يموتوا .

ـ كيف تتكلمين هكذا ؟ الا تخجلين ؟ ! بدأت العمة ابطه تهدد امى بانها ستسحقها بغضبها « كى تستمر البشرية فى البقاء .. يجب علينا انجاب الاولاد .

ـ فلتلدهم البشرية اذن قالت امى :

والآن ما رأى القراء فيما لو قمنا باعادة قراءة الفقرة السابقة من قصة الاديب الاسرائيلى مع حذف كلمـة « مونتجمرى » فى جملة « الا تعتقدين ان مونتجمرى سينتصر ؟ » ووضع كلمة « ديان » .. وحذف كلمة « البشرية » فى جملة « كى تستمر البشرية فى البقاء .. فانه يجب علينا انجاب الاولاد » ووضـــع كلمـة « اسرائيل » ؟

هل يمكن عندئذ ان تتكشف ابعاد الظاهرة ؟ وهل يمكن ان نعيـــــــد النظر فى تقييم النصر العسكرى الاسرائيلى ؟

ان ما نراه ها هنا من ظواهر دفينة على هـــذا القدر من الخطورة فى المجتمع الاسرائيلى لم يتولد نتيجة انتصـــار عسكرى ضخم أحرزناه ولكنه تمخض عن مجرد عمليات عسكرية محدودة ولكنها دائمة .. ابقت على حالة الحرب ساخنة ومع ذلك فلنتابع التجربة الى نهايتها لنرى كيف يؤدى الادب الموجه فى مجتمع الغزاة دوره فى علاج العلل الاجتماعية .

« بلبلت الحرارة والالم احاسيس أمى بعض الشىء ، احست برغبة فى كوب ماء ، انطمست حروف اللافتة المعلقة على عيادة الدكتور شميدت امام عينيها ، خرج شخص من الممر مستحثا الخطى الى الشـــارع ، لم تنكس امى عينيها لتنظر فى الساعة .

ــ ان البشرية هى انت ، قالت العمة ايطه بصـــوت صـــدر كانه امر ، لـــكى تبقى البشرية .. اى لـــكى تستمرى انت فى البقاء فانه لاينبغى لك ان تأخذى هذه الحقنة ، كيف داخلك الاقتناع بهذه الفكرة ، لم اكن اعتقد هذا فيك .. انت بالذات .

فى تلك اللحظة تماما فتح شخص بالطابق الاعلى جهاز الراديو فى صوت مرتفع .. كان المذيع يتحدث باللغـــة الانجليزية فى انفعال مكبوت ، كانت بعض الصـــفارات المتقطعة تعوق الاستماع غير ان العمة ايطه وامى لم يكونا يفهمان الانجليزية ، دفع الصوت المنفعل أمى الى الامام ، أزاح مرفقها العمة ايطه بعض الشىء من على المدخل واندفعت الى الامام تريد أن ترتقى الســـلالم

الضيقة بسرعة لتحتمي وراء باب العيادة المغلق .
ــ كلا ! صرخت العمة ايطه صرخة خاطفــة ومدت يدها فاصطادت أمي كما لو كانت دجاجة متملصة ، ووقفت كل منهما فى مواجهة الاخرى متحصنة فى موقعها
ــ لــكن .. افهمى .. قالت أمى ، كان صــوتها رفيعا منهكا وقد قل تماسكها ومالت مستندة بجسمها الى الحائط المطــــلى بالجبس وتمتمت : افهمى .. لا ضرورة ، مســموح ، ممنوع .

ــ انك تنطقين هراء. قالت العمة ايطه وهى تلاحظ ان موقفها قد أصبح اكثر ثباتا ولذا أصبح صوتها اكثر اعتدالا من صوت أمى ، انك تنطقين هراء ، اتفكرين فيما سيحدث ؟ ! لا تفكرى فيما ســيحدث ، فكرى فقط فى انه لن يكون هناك اى شىء اذا لم يكن لنا اولاد.

نظرت أمى فى الســاعة . كان المــوعد قد انقضى . حملت الريح سحابة من الرمال من مكان ما .
ــ فكرى انت .. قالت أمى فى خنوع : اى ظلم يكمن فى احضار اولاد لمثل هــذا العالم ، ما الذى فيه ؟ ما الذى ينتظرهم ؟ ان شيئا لم يتغير .
ــ ان شيئا لن يتغير اذا لم يحضر النــاس اولادا للعالم .

قالت ايطه : ما معنى ان نعيش لشىء اذا لم يكن هذا الشىء هو احضار أولاد للعالم .. كى يستمر كل شىء على الرغم من الحرب .

ــ ولــكن شيئا لن يتغير ، قالت أمى وصعد مذاق كريه من بطنها الى فمها واحست ثانية بشوق الى كوب ماء ولم تلحظ العمة ايطه ذلك .

ــ من أين تعلمين ان اى شىء لن يتغير ! يا سارة ،

ان اسرائيل زوجك يعمل فى الصحراء كى يبنى حصونا بينما أنت ذاهبة لتجرى عملية اجهاض ، ماذا سيقول اذا علم بهذا الأمر ؟

ـ اناسرائيل زوجى يعمل فىالصحراء بينما برومقين يقوم بصفقات سوداء ويشرى ، قالت أمى فى مرارة ، وفجأة قالت فى ذعر : انه لن يعلم .

ـ سأخبره أنا ، قالت العمة ايطة مهددة .

بدا لها ان انتصارها أصبح مؤكدا وما عاد أمامها سوى انتؤمنه وان تدفع العدو الى الانسحاب للخلف حتى يبتعد عن الممر وحتى يتأخر تماما عن الصعود الى العيادة واخذ الحقنة .

قالت أمى انا فى حاجة الى كوب من الماء .

اغتنمت العمة ايطه الفرصة وامسكت بمرفق امى .. « هلمى الى فيسكو » وابتعدت الاثنتان ، ضعفت حركات يدى العمة ايطه .

كانت الشمس فى كبد السماء ، وعلى قمة الجبل وفى مكان ما بالصحراء كان القتال حامى الوطيس وفى اوجه ، فى كل مكان كان يسير رجال بوجوه منكسرة وقلقة ، بينما كانت العمة ايطه وحدها تسير سيرا منتعشا واثقا ، ليفعل الجنرال مونتجمرى ما يفعل فلقد انقذت هى البشرية

عندما يتصادف وجودى بالمدينة فانه لا مفر لى من الذهاب لزيارة العمة ايطه .

وفى يوم الاحتفال ببلوغى سن التكليف الدينى قصت على القصة للمرة الاولى وحفزتنى الى الزواج وانجاب الاولاد المتعاقبين .

انتى لا اعرف كيف شكرت البشرية الجنرال

مونتجمرى لانقاذه اياها ، من المؤكد ان هذا كان فى شكل المجاملات الاجتماعية العادية ، أما بالنسبة لى فاننى احمل على كاهلى العرفان للعمة ايطه مثل اطلس فى زمانه .. وانا أجلس تحت صورة العم حاييم المعلقة فى حجرة الضيوف لاستمع ثانية وثانية الى قصة كيف انقذت العمة ايطه البشرية وكيف ولدت أنا » .

هكذا يتم الكاتب ايصال رسالته الى القارىء الاسرائيلى الواقع فى مخاوف الحرب ، ففى لحظة التنوير يكتشف القارىء بعد ان تهيأ فى سياق القصة لقبول منطق الاخلاق والضرورة الاجتماعية .. ان ذلك الجنين الذى كاد أن ينزل من رحم امه سقطا فى بداية القصة — لو كانت أقدمت على اخذ الحقنة — قد أصبح فى النهاية الانا القاص الانسان المكتمل الذى يتحدث اليه فى القصة .

هنا يوفق الكاتب الى احداث حالة الانفجار العاطفى لدى قارئه الذى يفكر فى اسقاط جنينه ممثلة فى صحوة من الوعى تدعوه الى استشراف مستقبل حى فتى وناطق لجنينه الذى يفكر بفعل الخوف فى أسقاطه ميتا .

بهذا الحد من الحديث عن ظاهرة العزلة واليأس فى المجتمع الاسرائيلى المنتصر فى الساحة العسكرية .. لا أظننى فى حاجة الى مزيد من التعليق فالظاهرة واضحة ، ودوافعها واضحة .. والدرس المستفاد من كشفها اجلى وأوضح .

القصص السياسى

- اغنية الاوز : — زان أدليسطو
- الدب — اورى بن ارياه

مضامين السياسة الصهيونية

لاحظنا فيما سبق من نصوص ادبية بعيدة فى تناولها للواقع عن طابع الادب السياسى المباشر .. وجود خطين اساسيين يستوعبان المضامين السياسية الصهيونية التى يرد التعبير عنها فى سياق التناول الادبى العام .

الخط الاول هو خط الادب الموجه أو الخاضع لالتزام حاد وقصوى بالقضية الصهيونية ومقولاتها ، ومن ثم فهو يتميز بالتباعد المتطرف عن الموضوعية فى النظر الى طبيعة الصراع العربى الاسرائيلى .. فيتجه الى طمس ملامح الموقف على طرفى الصراع بجنوحه الى تصوير الجانب الاسرائيلى على انه وريث مركز وموحد للمشكلة اليهودية التى كانت منتشرة موزعة على مساحة المجتمعات الاوربية في الماضى .. وريث ما زال عليه ان يتحمل البقية الباقية من فيض العذاب اللاسامى فى مواجهة العرب الذين يورثهم هذا التصوير المزيف موقف اللاسامية القديمة .

ومما لا يفوتنا التنويه به فى شأن هذا الخط .. انه لا يمثل نبتا جديدا فى تربة الادب الصهيونى بل هو فرع يحمل أوراق الظروف الجديدة على شجرة عتيقة فى هذه التربة وهى شجرة اليهودى المعذب دائما فى مواجهة العالم دون ما ذنب جناه .

وعلى نفس الشجرة القديمة هـــذه نجد تفريعات جديدة بعد الحرب الاخيرة نحو تأكيد المعاني التقليدية التي ظل الادب الصهيوني يسعى الى تأكيدها حول عصمة البطل الاسرائيلي وتنزهه عن كل المشاعرالطبيعية التي تميز البشر العاديين وتجعل منهم بشرا من خوف وقلق ،وتردد وغموض رؤية في المواقف وما الى ذلك من نوازع الانسان العادي وهو ما كان يصعب رؤيته في الابطال الاسطوريين او بالاحرى الوهميين الذين حرص الادب الصهيوني على انشائهم دائما قبــل قيام الدولة وبعدها (١) .

أما الخط الثاني الذي نلاحظه فهو خــط الالتزام المتحلي بميل نحو الموضوعية في تناول القضايا ورسم الشخصيات ، فيتجه دون ما خروج عن الالتزام العام الى الـكشف عن المواقف السلبيةعلىالجانب الاسرائيلي استهدافا الى تجاوزها والتخلص من آثارها ونتائجها .

ومن بين ركام الانتاج الادبي الذي يتخذ من المواقف السياسية موضوعا أساسيا له بعد حرب ١٩٦٧ والذي يندرج في مجموعه في هذين الخطين .. انتخبت للقارىء العربي نموذجين من القصة القصيرة في هذا الفصل ، أولاهما بعنوان « اغنية الاوز » وهي تتعرض بالتناول المباشر لموقف المحارب الاسرائيلي العادي من الاوضاع السياسية التي تحوطه والتي تؤدي به في نهاية الامر الى القبوع في موقع عسكري ضيق محدود في انتظــار الموت بين لحظة وأخرى .. وتكشف عن مدى الحرية الذاتية المتاحة لهذا المحارب في اختيار موقفه من قضية

---

(١) انظر غسان كنفاني .. في الادب الصهيوني .. دراساتفلسطينية رقم «٢» ص ٩٩

الصراع العربى الاسرائيلى ، أما القصة الثانية فتقـدم تناولا رمزيا ضبابيا لاحسـاس الخطر المحيـق الذى يتوقعه الاسرائيليون نتيجة للوجود السـوفييتى المؤيد للمقاومة العربية الشاملة داخل حلقة الصراع .

والقصة الاولى « أغنية الاوز » لـكاتب مرمـوق فى عالم الادب الاسرائيلى هو « ران أدليـسط » وهو يحتل مكانة هامة بين كتاب القصة السياسـية ويتميز بعمق التناول والنفاذ الى أعماق الواقع لـكن دون انفصـال عن موقف الالتزام بالموقف الاسرائيـلى فى الصراع ، وهذه القصة التى تمتلك قدرة على الـكشف قد توازى طاقة عمـل روائى كامل .. تقـدم تشريحا أقرب الى الموضوعية من غيرها لشخصية البطل الاسرائيلى المحارب على الجبهة العربية .. رغم ما تحمله من بصمات الموقف الصهيونى التقليدى الذى يسعى الى انشـاء البطـل الاسرائيلى مرهف الاحساس الذى لا يريد الحرب ومع ذلك لا يتوانى عن البلاء فيها طالما انه رهن لها .. البطل المؤمن بانتمائه القومى وموقفه القوى المتفوق .

ذلك ان البطل فى هذه القصـة .. وهـذه لمسـة موضوعية ـ يعانى نوعا من الفصام بين احساس الانتماء القومى وما يقتضيه من بذل وبين حرصه على سلامته الشخصية واصراره على البقاء سليما معافى من التشويه الجسدى حتى ولو كان هذا على حساب المصلحة القومية التى يؤمن بها . وهو بطل يعانى الى جانب هذا الفصام بين معنى التضحية فى سبيل الوطن ومعنى الاحتفـاظ بالذات من حالة عجز عن تبين الحقيقة السياسية التى يجب أن يتبناها داخل نفسه نتيجة لحيرته فى اتخـاذ

موقف واضح تجاه التيارات السياسية المختلفة فى مجتمعه والتى تتراوح فى حديها الاقصى والادنى بين تيار الالتزام بالمقولات الصهيونية الاساسية الداعية الى التمسك بالاراضى العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ واعتبار الاستيلاء عليها مجرد مرحلة نحو تحقيق هدف اسرائيل الكاملة .. وهو الامر الذى يستوجب مزيدا من القتال واستمرار الصراع وبالتالى تعرض البطل المخطر الجسدى الذى يخشاه .. وبين تيار التعقل العملى الداعى الى محاولة تفهم بعض الحقوق العربية واسترضاء العرب برد بعض ما اخذ منهم وهو ما يمكن ان يؤدى ــ فى التصور الاسرائيلى المعتدل الى حالة امان عامة وبالتالى الى كفالة السلامة الشخصية للبطل المحارب .. ولكن على حساب الآمال التاريخية فى اسرائيل الكاملة .

ونتيجة لهذا الموقف الفصامى الجديد تجاه التيارات السياسية الموجهة لمجرى الصراع على الجانب الاسرائيلى والذى يفرض على البطل حالة العجز عن اتخاذ موقف اختيار ذاتى .. فانه لا يجد مفرا من السقوط الاضطرارى فى موقف من الجمود العقلى والفكرى ، وموقف الجمود هذا هو عين الاطار الذى يبتغيه صناع الانسان فى اسرائيل ليبرزوا داخله مثال البطل المنشود ،انه مثال البطل غير الواعى.. « ان كل ماينبغى عليك عمله هو ان تصورنى وعندئذ سترى المثال ، حقيقة انه مثال غير واع ، ولكنه المثال .

ــ وهذا بالضبط ما نحن فى حاجة اليه الآن .. امثلة غير واعية

ــ دعك من السخرية .

ـ أية سخرية ؟ .. انني أتحدث في موضوعية كاملة. ان الجندي الحسن هو الجندي الذي ينفذ الاوامر الى نهايتها . »

البطل الذي عليه أن يكون محاربا لأن العرف العام يقتضي أن يكون البطل محاربا .. وان يطيع فيكون قاتلا اذا طلب منه ان يقتل وان يذعن اذا قيل له استوطن الارض العربية .. فيصبح مستوطنا.. باختصار عليه ان يكون آلة بشرية تتحدد حركتها حسب الشحنة التي يبعثها فيها الزر المضغوط ، وهذا هو الامر الحيوي المطلوب من البطل الآلة دون ان يكون لايمانه بشعارات الوطن والارض التاريخية والاماكن المقدسة اى حساب من الاهمية في الموقف طالما ان هـذا البطل ينصاع الى ما يصب في اذنيه من اوامر وينفـذ ما يوجه اليه من تعليمات متوافقة مع التنشئة العدوانية التي يربى عليها من صغره (١) .

« ـ بالاضافة الى ذلك فان هناك جماهير من الرفاق متحمسين لهذه القضية .. قضية الوطن الكامل .. انك تعرف التاريخ والمشكلات .

ـ ليذهب هؤلاء الرفاق الى الجحيم .. يقال طيلة الوقت ان هناك جماهير منهم .. حتى انني قرأت في الصحف ان البلاد مليئة بهم ، ولكن اين هم بحق الشيطان ؟ من هم ؟ الا اعرف انا عددا كافيا من

(١) يتفق ذلك مع ما تشير اليه الدراسة السيكلوجية التي قام بها قدري حفني لنموذج الكيبوتز باعتباره النموذج الذي تحاول اسرائيل ان تركز عليه العسـو باعتبار ان اساليب التربية المتبعة في الكيبوتزات تخلق بالفعل إبطالا من هذا الطراز بالتحديد (راجع: قدري حفني ـ تجسيد الوهم ـ مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية ـ مؤسسة الاهرام ـ ١٩٧١) .

الرفاق ؟ انني اعرف الملايين ومع ذلك فانني مضطر لان ابحث بينهم على ضوء شمعة عن هؤلاء المتحمسين. وعندما اعثر عليهم فانني لا اجد رفاقا .. هيه . سأشرح لك .

انني أعرف جماهير من الرفاق يفعلون ما يقال لهم دون نقاش .. اذا قيل لهم حاربوا .. فسيحاربون ، واذا قيل لهم استوطنوا ، فسيستوطنون .. اذا قيل لهم اقتلوا ، فسيقتلون . ولكن أين هم من الحماس للأماكن المقدسة .

ومع ذلك فان مثال البطل الذى يصب فى هذا القالب الآلى الجامد لا ينجو من المعاناة .. فالبقية الباقية من بشريته تفرض عليه المعاناة نتيجة احساسه بالعجز الانسانى عن التفكير والحركة المؤمنة النابعة من داخله.

« اننى أعرف اننى أجلس الآن على القناة .. داخل موقع مسلح فى مرمى نيران العدو .. أعانى معاناة قاسية من المأساة القديمة .. مأساة الجندى البسيط الذى لا يتخذ قرارا أو يعرف حتى تنتهى المهمة التى يؤديها ، انه لايعرف ماذا كان هناك مايبرر المهمة ام لا

هو لايمكنه ان يدرك ما اذا كانت المهمة ضرورية بوجه عام أم لا الا بعد بضع سنوات طيبة » .

ومع كل هذا الاحساس لدى البطل المقولب بموقف الضآلة الانسانية الذى لا يتيح له قدرا من الايمان الذاتى الحر بالعمل الذى يقوم به – وهو ما ينفى لدى المناضلين المؤمنين بقضيتهم احساس العجز هذا حتى ولو غابت عنهم معرفة لحظة القرار بالفعل والحركة – فان عليه ان ينجى نفسه من الاحباط الانسانى المطلق تعللا بحصوله على الضرورات الميكانيكية الاساسية اللازمة لحياة الانسان .

« كلا ، ولمـاذا اشعر بالاحباط ؟ انني ذكي جميل.. وانا اضـاجع الحسناوات ، ان هـذا السيجار لذيذ الطعم اليـس كذلك ؟ » .

هكذا يكشف لنا ران ادليسط في قصـته القصـيرة هذه عن نمط جديد من شخصية الشـباب الاسرائيلي الذي اكتشفنا منه انماطا اخرى مختلفة عبر الاعمـال السابقة وان كانت كلها تجتمع في دائرة واحدة .. وهي دائرة الانسان المستخدم دون ان يدري وتحت شعارات ديماجوجية مثيرة .. كأداة وآلة في أيدي مستثمرين كبار ينتمون في النهاية الى معسكر الامبريالية العالمية .

هذا عن القصة الاولى في هذا الفصل .. اما القصة الثانية فعلى الرغم من التعبير الضبابي الغامض الذي يصوغ فيه كاتبها المحتوى الذي يريد اداءه .. فانهـا تكشف عن نوع آخر من القصص السياسي الاسرائيلي، وهو القصص التسجيلي لمواقف السـياسـة العـامة خارجية وداخلية ، والتسجيل هنا منصب على اثبات مغزى التدخل السوفييتي الى جانب العرب وما يعنيه من تعريض الوجود الاسرائيلي للخطر ، ولعله مما قد يفيد القارئ العربي في فهم القصة ان نشير الى انها قد نشرت في نفس الوقت الذي كانت الصحف الاسرائيلية مكتظة فيه بمقالات التخوف والاستـنكار لموقف السوفييت في ادخال الصـواريخ المتقـدمة المضـادة للطائرات الى ساحة القتـال اثنـاء المحاولة العسكرية الاسرائيلية لتصفية جبهة القنال المصرية عام ١٩٧٠ .

أغنية الإوز

ران ادليسط (1)

لحظات الغسق ما بين غروب الشمس وبزوغ القمر وآخر الخيوط الشمسية تتكسر على ذرى التحصينات وزوايا المواقع على الجانب الغربى من القناة .

كان قرص القمر المنبلج من خلف سـلسلة الربى الواطئة البعيدة يسكب نورا باهتا على فتحات الدشم وعلى عربة الطعام المشدودة الى عربة نصف جنزير فيكشف عن عدد هائل من الثقوب يرصع لوح العربة الجانبى

كان الموقع الليلى معدا على ما ينبغى ولم يكن هنـاك ما يجب عمله سوى ترتيب حائط الاكياس الرملية التى تبطن جدار الموقع على صورة ثابتة مستقرة .

يقال ان الاصابة المباشرة تمثل احتمـال واحـد فى المليون .. ومن المهم أن تكون القذائف نفسها على تسليم بهذا الاحتمال .

كان ايتسيك الجالس بالمـوقع مديد القامة مهـندل الثياب والحركات .. ترتسـم على وجهـه تعبيرات الارهاق ، نظر فى ساعته ، بعد عشر دقائق ينضم اليه يوسى وهو الآخر مديد القـامة وان كانت حركاته وملابسه تتسم بالدقة ، ومع ان وجهه كان يحمل نفس التعبيرات المرهقة الا انه كان يضم الى ذلك تعبيرا آخر .

اكتمل اليوم اسبوع على مكثهما معا كل ليلة فى هذا الموقع .

(1) على همشمار .. ١٩٧٠/٤/١٧

فى ليلتهما الاولى أصيبا بصدمة ، كانت كل قذيفة تسقط تفجر فى نفسيهما شعورا بأن نهايتهما قد حانت مع سقوطها ، الصفير والدوى وزلزلة جدران الموقع وتراقص الخوذات .

بعد ذلك تعودا .. كانا يقذفان بنفسيهما على عجل من خلال الفتحة الضيقة .. ينكس كل منهما راسه بقدر معين ويضغط بيديه على حافة الخوذة الحديدية، وخلال جزء الثانية الواقع ما بين الازيز الملهوف والسقطة المرعدة .. كان كل واحد يضغط جسده حتى أطراف اصابعه فى نقطة متناهية الضآلة حتى يبدو كراس دبوس لا جسم له ، وبعد ذلك كان كل شىء يسترخى من تلقاء نفسه فى بطء .

على هذا النحو من التصرف يتاح لهما ان يكونا رابطى الجاش أثناء القصفات ، جزء من الجسد يؤمل وينكمش وجزء يتطلع ويرسل التقارير .. بينما الصلة بين الجزئين معدومة تماما ونغمة الصوت الذى يحمل التقارير هادئة وأحيانا جزلة ، جزله حقا فى بعض الاحيان وفى الصباح وعندما تتسع دائرة الضوء المغبش الى حد الرؤية الفعلية كانا ينزلان من الموقع وينشغلان باحصاء الحفر الصغيرة التى تخلفها القذائف من عيار ٨١ مم ويتفحصان فى خوف الفوهات الغائرة المتخلفة فى الارض عن القذائف من عيار ١٢١ مم ، ١٦٠ مم .

فى أحد الايام وجدا فى قناة الاتصال المؤدية الى موقعهما انهيارا نتج عن قذيفة ، قالا : « ليست هذه قذيفة » .. « انها احتمال .. ومن سمع عن احتمال يقتل؟»

فى احدى المرات كان ايتسيك ينظر فى العتاد يتفحصه قطعة قطعة بيدين تتحركان فى تمرس ويقدر زاوية توجيه الرشاش .

واقبل عليه يوسي .
ـ اهناك جديد ؟
ـ ثلاثة اسابيع اخرى .
ـ حتى هذا يمثل خبرا جديدا .

ثم جلسا كل منهما يدخن سيجارا كبيرا فى صمت ، بين الفينة والاخرى كان احدهما ينهض ليلقى نظرة فى المنطقة المحيطة .

ـ سمعت انكم قد هربتم اليوم من موقع المراقبة ، قال يوسي ..

ـ هربنا ؟ انه لتعبير مخفف .

ـ ماذا حدث ؟

ـ وجهوا المدافع المضادة للدبابات الى الموقع ، كنا نجلس محاولين تحديد الموقع الذى قصف الموقع ن. وفجاة سقطت قنبلة وامتلأ الموقع بدخان ملتهب ، جلسنا على الصندوق وكل منا ملتصق بالآخر محاولين ان نتمالك انفسنا وأن نفكر فيما يجرى ، انك تدرك بالطبع ماذا يكون الحال ، غريزة تستصرخ الانسان كى يهرب واخرى تتساءل عما عسى ان يقوله الرفاق ، وعندما كدنا نصل الى قرار لحق بنا رفيق ثالث ، كان اطول قامة ، وادركنا اننا على لوحة التوجيه فى مدافعهم اذن فقد اكتشفوا الموقع ، وتولانا الرعب فاطلقنا سيقاننا هاربين ، وكما سمعت فقد فررنا الى داخل الدشمة ، جلست هناك حوالى عشر دقائق حتى استطعت ان الملم عظامى التى اختلفت مواضعها من الصدمة وبعد ذلك فقط ذهبنا لنبحث عن موقع بديل.

ـ لقد اطلت الحديث .. قال يوسي . والآن كيف سننظم انفسنا الليلة ؟

ـ هل تعلم انني اتمنى احيانا أن يجيئوا ، ليس هذا عملا ان نستعد وننتظر كي نستعد وننتظر لنستعد لم نعود فننتظر ، لقد سئمت ، ان يجيئوا ويهاجموا فهذا يعني اننا سنهاجم بالتالي ونضع لهذه العملية نهاية .

ـ اين انت من هذه النهاية ؟ ان النهاية بالنسبة لك ليست سوى ان تنفق هنا (١) واذا ما قتلت عشرة من العرب فان هذا سيكون النهاية بالنسبة لهم ، اما العملية نفسها فلن تكون لها نهاية ، انني اعتقد ان هذا لن يؤدي الا الى اطالة أمدها ، وانت تعلم على اى نحو سيكون الوضع حينذاك ، فانت ستتباهى بالنجاح في ضربهم وستقول في فخر : هكذا ، انني مستعد طيلة الوقت اما هم فسيعتريهم السخط على فشلهم وسيحاولون مرة اخرى .

ـ أو كي يرسلوا آخرين وآخرين ، فسنضربهم جميعا .

ـ لم اكن أعلم انك سفاك دماء على هذا النحو .

ـ من سفاك الدماء ؟ اني اقول هذا لمجرد انهم يريدون قتلي .

ـ لكنك قلت انك تريدهم أن يجيئوا . الم تقل ذلك ؟

ـ هيه ! ! اخذتني بكلمة ، دعنا اذن نجري مساجلة بالمنطق وعلم النفس لنرى اين نقف .. هيه ؟

ـ كي يتم هذا فلا بد أن نبدأ من المشكلة الصهيونية

ـ اي منطق هذا ؟ انني هنا المعرض للفناء وليست الصهيونية او شعب اسرائيل .

ـ انك اذا لم (تمت) هنا .. فان شعب اسرائيل لن يعيش هناك .

---

(١) هكذا وردت بالنص العبرى .

ـ هل تقول هذا لانك متأكد منه أم لانه حجة فى النقاش؟ « لهجة الصوت مكدودة وممطوطة .. تحمل نغمة عدم المبالاة بدرجة معينة » .

ـ « هيه » سترى انني لا أعرف بقدر كاف يمكنني من أن أتكلم بصورة يقينية .

ـ ومن الذى يعرف ؟

ـ ما هذا السؤال ؟ الجنرالات .. رؤساء الحكومات وزراء الدفاع والبقال الذى أتعامل معه يعرف هو ايضا .

ـ وما الذي يعرفونه أكثر منك ؟

ـ انهم يعرفون ماذا سيحدث اذا لم نقعد هنا ، هم يعرفون ماذا سيفعل الروس وما الذى سيفعله ناصر وماذا سيفعل الامريكيون ؟

ـ وهل يعرف كل منهم ماذا سيفعل صاحبه ؟

ـ دعك من السخرية والتهكم ؟

ـ ما شأن التهكم بما أقول ، قلنا ان هذه مساجلة وبناء على ذلك اسألك .. من اين لك ان تعلم أنهم حقيقة يعرفون ؟

ـ قبل كل شيء انا اقعد هنا .. ومن المؤكد انهم يعرفون ذلك .. أليس كذلك ؟

ـ بلى .

ـ انني اقدر ان وجودى هنا يمثل افضل خيار ممكن ، أعنى أنهم يقدرون ذلك ، ذلك انك اذا اردت شيئا مثل السلام والامن فانه لابد لك من بذل كل أنواع الاشياء : العمل ، المال ، وكذلك الدماء .

ـ السلام قبل كل شيء ، وكما يقولون جميعا اليوم .. السلام والحدود الآمنة ، هل ستقول انك تريد أن تناقش ما المقصود بعبارة الحدود الآمنة ؟

ـ انا كردى والسلام بالنسبة لى هو عدم اطلاق النار
ـ توقف عن اطلاق النار اذن .
ـ ومن اين لك انهم سيتوقفون بدورهم ؟
ـ ومن اين لك انهم لن يتوقفوا .. هل حاولت !

ـ كلا ، ولكن فضلا عن ذلك فان هناك الحدود الآمنة ، ولا تنسى ان الوقوف عند المطالبة بالحدود الآمنة يمثل ايضا انتقاصا من ارض اسرائيل .. اننى لست من المنادين بأرض اسرائيل الكاملة ، لكننى اعتقد ان الحصول على رقعة ارض تكفل الحدود الآمنة امر لا يضر ، وبالاضافة الى ذلك فان هناك جماهير من الرفاق متحمسون لهذه القضية .. قضية الوطن الكامل .. انك تعرف التاريخ والمشكلات .

ـ ليذهب هؤلاء الرفاق الى الجحيم ، يقال طيلة الوقت ان هناك جماهير منهم .. حتى اننى قرات فى الصحف ان البلاد مليئة بهم ، ولكن اين هم بحق الشيطان ؟ من هم ؟ الا اعرف انا عددا كافيا من الرفاق؟ اننى اعرف الملايين ومع ذلك فاننى مضطر لان ابحث بينهم على ضوء شمعة عن هؤلاء المتحمسين ، وعندما اعثر عليهم فاننى لا اجد رفاقا ، هيه .. هيه .. ساشرح لك ، اننى اعرف جماهير من الرفاق يفعلون ما يقال لهم دون نقاش .. اذا قيل لهم حاربوا .. فسيحاربون، واذا قيل لهم استوطنوا .. فسيستوطنون واذا قيل لهم اقتلوا ، فسيقتلون .. ولكن اين هم من الحماس للأماكن المقدسة ؟ على اى حال فانه يبدو لى ان كل من يكتبون عن هذا لا يدركون انه يمكن يقينا القيام بكل هذه الاعمال دون ان تمس مدينة الخليل قلب احد ، اننى أعرف بضعة اسباب اخرى للقيام بالاعمال الوطنية .

ـ حسنا .. لنترك السياسة اذن ولنهتم بأنفسنا ، ما الذى تفعله هنا ؟

ـ أى سؤال هذا ؟ لقد استدعونى الى الاحتياط فجئت

ـ ولو لم يدعوك .. فهل كنت ستأتى.؟

ـ كلا ، ولكننى لم اشأ أن اتهرب ، لقد كان بمكننى قطعا ان اعفى نفسى بسهولة وكذلك انت .. أليس كذلك ؟

ـ بلى .

ـ اذن ما الذى تبغى الوصول اليه بهذا الاستقصاء ؟

ـ اننى لا أستقصى .. اننا نجرى مرانا فى المنطق وعلم النفس .. أليس كذلك ؟

ـ آهاه .. يهمنى لو أنك اجريت هذا المران فجاة فى تل ابيب كذلك ..ألست متاكدا من ان الظروف هنا تؤثر بعض الشىء ؟ ..

ـ ربما ..

ـ ماذا تعنى ربما ؟ نعم ام لا ؟

ـ ربما .

ـ حسنا .. اذن فقد بات من الواضح لنا انه لايمكن استخلاص نتائج من مساجلة نجريها تحت ضغط ظروف معينة ، لنرجىء استخلاص النتائج الى نهاية المناقشة ولنجر النقاش فى تل ابيب باحد المقاهى .. هيه ؟

ـ هيه ..

ـ لا تكن تهكميا على هذا النحو ، لقد اعترفت بنفسك انه كان يمكنك أن تعفى نفسك ، لقد جئت بسبب ما يسمى « بالوعى الداخلى » .

ـ اننى لا أعرف الكثير عن الوعى الداخلى ، ولكن هناك امرا واحدا أستطيع أن أتحدث عنه بثقة كاملة

على انه وعى داخلي كامل يقع فى دائرة الشعور ودائرة اللاشعور ، انني لا اعرف كيف ستسميه .. وهو يتحدد فيما يلي :

ان انفق .. فهذا امر لا اريده ، واذا حاولت ان اربط بينه وبين واجبي في سبيل الوطن .. فان المحاولة تصبح بالنسبة لى امرا فظيعا معقدا ، لو قلت لى الآن بكل الجدية : ان واجبك الوطنى يتطلب منك الصعود فوق سطح الموقع لتفعل كذا وكيت ثم تتلقى رصاصة

فى راسك فاننى لا اعرف ما اذا كنت ساصعد ام لا ، اننى ادرك ان هذه مسالة افتراضية وان هناك تاكيدا دائما على عدم التعرض لمثل هذه المخاطرة الفجة .

لكنك اذا قلت لى اننى ساصبح مشوها فاننى اعتقد اننى لن اكون مستعدا لذلك .

ــ انت تتحدث بهذه الصورة ؟ لقد كنت طيلة معرفتى بك تجرى الى اى مكان تفوح منه رائحة الخطر ، لقد ذهبت لتخدم فى اشد وحدات الجيش خطورة اليس هذا نصف تشوه ؟

ــ كلا .. ليس هناك نصف تشوه ، هناك تشوه وما يتبقى عند ذلك ليس سوى الروح .

ــ حسنا .. لقد شاركت منذ فترة قصيرة فى بضع عمليات هائلة الخطر ، وان مجرد تفكيرى فى انه كان ينبغى على ان اكون هناك معك يبعث القشعريرة فى جسدى ، فلماذا تقفز فجاة الى موضوع التضحية من اجل الوطن ؟

ــ مهلا .. فهذا ما اريد ان اشرحه لك .. اسمع :

ان مقعدتى كما تعلم مكونة من قسمين .. فى احدهما فلفل احمر وفى الثانى فلفل اخضر ، وكلاهما

حريف ، وعلى هذا فان تحركي فى اى اتجاه انما يكون بسبب مقعدتي .. لانني اريد ان اثبت لنفسى ـ وهذا لانني نشأت فى الكبوتس حيث الكل هناك محاربون والعرف العام يقتضى هذا ـ ما اذا كنت انا الآخر مفيدا للوطن ام لا

ان هذا اعتبار له قيمته ولكنه ليس الاعتبار الوحيد وربما ليس الاعتبار الاول .
ان كل ما ينبغى عليك عمله الآن هو ان تصورنى وعندئذ سترى المثال ، حقيقة انه مثال غير واع ، ولكنه المثال .

ــ وهذا بالضبط ما نحن فى حاجة اليه الآن .. امثلة غير واعية .
ــ دعك من السخرية .

ــ اية سخرية ؟ انني اتحدث فى موضوعية كاملة ، ان الجندى الحسن هو الجندى الذى ينفذ الاوامر الى نهايتها وكذلك هو الجندى الذى لا يكره العدو .. أم انك ترى غير ذلك ؟

ــ لا تكن جائرا ، اننى لا اكرههم لانه لا صلة لى بهم .. اننى اريد منهم اشياء واضحة ، ولقد حصلت على بعض من هذه الاشياء ، واذا واظبت على هذا الموقف فاننى سأحصل على الباقى فلماذا اكره اذن ؟ فضلا عن ذلك فان الكراهية تعكر هدوء النفس فلماذا اشعر بالكراهية ؟ اننى اريد ان اظل صحيحا .

ــ قل لى الآن من هو الجائر ؟ انك تريد ان تضرب وان تظل هادىء النفس فما الذى سيقوله من تلقى الضربة ؟ هل سيتلقى الضرب فى هدوء ؟
ــ سيتعلم درسا .

ـ اذن فما جئنـــا نفعله هنـــا هو أن نعلم العـــرب درســا !! ما هذا .. هل انا رجل تربية وتعليم ؟

ـ وماذا عن اننا اذا لم نكن هنا فان شعب اسرائيل لن يكون هناك ؟

ـ انني لا اعرف ، واما انني محق في عدم معرفتي وأما ان هذا ليس في منتهى الاهمية بالنسبة للاحساس العام

ـ اذن فهذا احساســك .. هيه ؟ .. لو شـــنوا ضدك حرب استنزاف لبضع سنوات وفقدت ملابسك الداخلية بالفعل فهل ستكون رجلا ؟

ـ لا تطمس الاشياء .. الا تفكر في انه توجد خارج مسالة رجولتي بضع موضوعات أخرى للنقـــاش ؟ أن الذي يواجهنـــا ينبغي عليه ان يحارب لان كرامته قد انتهكت ، وعلى أنا أن اصمد لاثبت انني رجل ، ما هذا هل نحن في حضانة اطفال هنا ؟

ـ تماما ولــكن بدون حاضنة .

ـ انني موقن من ان القضية أعمق من كل الشطحات التي قمنا بها هنا . ان هنـــاك شـــيئا ما .. منظورا تاريخيا أو شيئا آخر مشـــابها .. وببســـاطة فنحن لا نقدر على فهمه وادراكه ، من المحقق أن هناك جوهرا قوميا بينما نعجز نحن عن الاحساس به باعتبارنا أولادا صغارا ساذجين .. ان هذا ما يحدث عندما ..

ـ مهلا ، مهلا .. ان نقيقنا الساذج يتناسب تماما مع بعض الاعمال المتوهة التي نراها حولنـــا ، انني لا اعاني اى نقص في الاحساس بمدركات الجوهر القومي او ليس جلدى جزءا من الجوهر القـــومي ؟.. واذا لم يكن ، فما الذى يعد جزءا من الجوهر القـــومي اذن ؟ هل هوالاحساس الديني الخاص لدى الحاخام ملوففيص.

لماذا لا تعتقد ان ما نستشعره ونفكر فيه ونعمله هنا هو القمة .. هو المدى الصحيح بينما ما عداه مجرد سفسطات وتحسبات ؟

ــ قل لى .. هل أنت من متسببين ؟ (١)

ــ دعنا من هؤلاء المتوهين .. انهم يثيرون سخطى ليس بما يقولون بل لانهم واثقون من انهم على حق .

ــ وماذا يقول اخوك ؟

ــ دعنا منه فهو من الجيش العامل ، والجيش المنتصر لا يتخلى عن الارض.. فهذه مسألة استراتيجية فضلا عن ذلك فانه لابد وان يكون عدوانيا بسبب وظيفته ولكننى اعرفه .. انه على ما يرام .. انه فى جانبنا .

ــ حسنا ، لقد شطحنا وشطحنا قالى أين وصلنا ؟

ــ لقد قلنا فى البداية اننا لا نريد نتائج .. اليس كذلك ؟

ــ حسنا لنعرف على الاقل اين نقف .

ــ الا تعرف ؟

ــ انني اعرف اننى اجلس الآن على القناة .. داخل موقع مسلح فى مرمى نيران العدو.. اعانى معاناة قاسية من المأساة القديمة .. مأساة الجندى البسيط الذى لايتخذ قرارا او يعرف حتى تنتهى المهمة التى يؤديها ، انه لا يعرف ما اذا كان هناك ما يبرر المهمة ام لا ، هو لايمكنه ان يدرك ما اذا كانت المهمة ضرورية بوجه عام ام لا الا بعد بضع سنوات طيبة .

---

(١) جماعة اليسار الجديد فى اسرائيل الداعية للتفاهم مع العرب ورفض الصبغة الصهيونية للدولة الاسرائيلية .

ـ حسنا ، الاساس الآن هو ان الهدف العام على ما يرام .

ـ هل تشعر بالاحباط الى هذه الدرجة ؟

ـ ستدهش لجوابي ولكني لا أشعر بالاحباط بوجه عام .

ـ هل تشعر بالامان ؟

ـ كلا ، ولماذا اشعر بالاحباط ؟ انني ذكي .. جميل .. وانا اضاجع الحسناوات ، ان هذا السيجار لذيذ الطعم ، اليس كذلك ؟

هل ستسقط قنبلة ؟ لقد سمعت ان الموقع البديل على طريق الامدادات يمثل انتحارا حقيقيا .

ـ ماذا اذن ؟ هل سنظل هكذا للأبد ؟

ـ هل جننت ؟

ـ هل ننسحب ؟

ـ هل جننت ؟

ـ حرب جديدة اذن ؟

ـ هل الموقف مجرد من الامل الى هذا الحد ؟

ـ هل تعرف ماذا تريد ؟

ـ كلا .. وانت ؟

ـ كلا ..

ـ وا حسرتاه على الاوز اذن .. هيا بنا نفتش على الموقع الثانوى ..

ـ بوم ! !

الدب . .

أورى بن أرياه (1)

صرخ رجل مستنجدا بأعلى الشارع ، كان صوته عاليا هستيريا يكاد يتسم بالوقاحة ، كانت ابنتى التى تبلغ من العمر خمس سنوات تلعب هناك الى جوار شجرة عالية مشروخة .

كنت أقف على مدخل مقهى متواضع بأسفل الشارع، وصل الى سمعى الآن صوت الرجل وهو يصرخ .. الدب ! الدب !

هرول بعض الاشخاص الى الشارع ، راحوا ينظرون هنا وهناك ثم رفعوا عيونهم الى السماء ، كانوا يبحثون عن طائرات ، لم تكن فى السماء أية جلبة غير عادية ، توقف أوتوبيس فى المحطة ، كان خاليا من الركاب وبداخله كمسارى يبدو عليه السأم .

لم ير الكمسارى شيئا .

كانت ابنتى تلعب هناك .. بأعلى .. مع صاحباتها ، بريئة فى الخامسة من عمرها ، فى مقدورها أن تجرى الى الدب وتداعب يديه ، هكذا تعلمت من قصص الاطفال ، لابد من انقاذها .

(1) ها آرتس .. ١٩٧٠/٦/٩

- هناك بأعلى تلهو جماعة من الطفلات البريئات ، صرخ الرجل : الدب .. الدب !

هل هو دب طيب ؟ كيف يمكن أن تصل الدببة الى هنا ؟ هل يسقطها العدو من الطائرات ؟ هل هو طابور خامس خرج من داخل المغارات المظلمة ؟

انظروا كم نحن اذكياء ، اننا نقف هناك على القناة وسلاحنا مجهز وآذاننا صاغية .. بينما هم يهاجموننا هنا من الخلف فى مكان لا نتوقع فيه الهجوم .

ان الحرب خدعة ، هذه هى القاعدة ، ابنتى بريئة ، فى الخامسة من عمرها ، تلهو فى سعادة مع صاحباتها بأعلى الشارع ، وهناك دب .

لابد من انقاذ ما يمكن انقاذه ، وبسرعة .

كيف يأتى دب الى أعلى الشارع ؟ من الذى ارسله الى هناك ؟ ماذا يعمل ؟ ..

بدأت عملية هروب جماعية .. أغلقت الشبابيك وراح الناس يعبئون الحقائب ويحملونها على ظهور السيارات فلقد يأتى الدب فى اى لحظة ، لا بد من الاسراع .

خلا المقهى على عجل وتفرق الناس فى كل اتجاه ، انزلت احدي الجارات تقطن فى الطابق الثالث زجاجة من اللبن وطبقا من العظام اليابسة كيما يأكل الدب ويشبع فيعود من حيث أتى ، انه جائع ، والجوع يثير القلاقل ، يبعث الافكار السوداء ويؤجج الثورة فى الامعاء يلحق المرض والالم الابديين بالجائع ، لا بد من تقديم اللبن للدب .

الآن شاهدت الدب بأعلى الشارع ، انه يبدو عصبيا .. متعبا واثقا بنفسه ، اصيب الناس بالذعر ولم تظهر الشرطة بعد : انقطعت خطوط التليفون ، هذا الوضع

هو ما يريده الدب ، هو دب رمادى بارد الطبع ، عصبى الى حد ما ، ولكن هل هذا كل شيء ؟ من اين ظهر ؟ من البلدان الباردة ، كيف يمكنه أن يتكيف مع طقسنا ؟ انه يرتعش ، متعب ، عصبى ، أهو رب أسرة ؟ جريت

بسرعة لانقذ ابنتى ، كان على أن أجرى مسافة غير قصيرة ، ينبغى أن أحاذر من فقد قواى ، يجب أن اخطط ، ان عدم التنظيم هو ما يضعفنا .

وضع صاحب المقهى على المنصة بضعة أنواع من الحلوى وبعض البسكويت الرقيق والطويل وكذا زجاجتين من الويسكى الفاخر كيما يشرب الدب ، كنت اقف هناك مغيظا ، لكن المقهى ليس ملكا لى ، ان الناس يعتقدون انهم يهزمون اكبر الاعداء فى العالم ... الجوع .. ولكن للدب غرائز أخرى .

انه حساس تجاه بنى البشر .. يكرههم ، صحيح انه ظمآن ، لكنه يريد أن يشرب دما ، ان من لايفهم معنى هذا لا يفهم ما هو الدب ، وليس هذا فحسب ، بل انه لا يفهم معنى ان يحاول رجل انقاذ طفلته ابنة الخامسة بأعلى الشارع .

ـ لن يضطر الي كسر بابى وتحطيم المنصة ، قال لى صاحب المقهى . سيكون الامر بسيطا تماما ، سيأخذ زجاجة او اثنتين وبعض البسكويت ، سيلتهمهما كالدب ثم يغرق فى النعاس سيعب الهواء ثم يهدأ ، المهم الا يكون عنيما وفى اللحظة التى يصبح فيها عنيفا فانه يحطم

كل شيء ، ان المقهى يقدر بمائتى الف دولار ، فما بالك اذا قيم بالروبل ؟ رفع الدب ذراعيه الى اعلى ليحطم سورا من المدرجات يعترض طريقه ، راته ابنتى من على بعد فراحت تصفق ، هل هذا دب قرقاس ؟

كيف وصل الى هنا ؟ من اين ظهر ؟

نبحت تجاهه بعض الكلاب فنظر اليها فى هزء ، ان كلبا ينبح لايمكن أن يضايق دبا ، تقدم الدب على متحدر الشارع ، انه يبحث عن مقهى ، كان قلقا وعيناه معشيتين من الضوء المنعكس من على شيش البلاستيك ، الى جانب صناديق الزبالة كان اصحاب البيوت قد وضعوا أطعمة وأوان بها ماء من أجل الدب .

حطم الدب كل شيء ، دب شبع اخطر من الف عالم جائع ، هل احدا يذهب ليهدىء الدب ؟ هل احدا يذهب ليبحث له عن الدبة ؟ الا يوجد هنا حتى مروض وحوش أو ما يشبه هذا فيستطيع أن يلوح بسوط دون أن يكون مرتديا بنطلونا ؟ انه حتى لا يوجد أحد يرتدى بنطلونا ، كلهن فى فساتين خفيفة هفهافة ، جديرات بأن يرقن فى عينيه ، دب .. هو دب لكنه ذكر ذو عينين .

ما الذى يبحث عنه الدب ؟

اتجه الى المقهى وحمل زجاجة من الويسكى بين يديه ، كانت النساء تنظر اليه من اسفل الشارع فى رهبة واحترام ، أدار الرجال محركات السيارات وهربوا ، لم يبق احد فى الشارع ، اين الشرطة ؟ دائما عندما تحتاج لاحد تجده هو الآخر محتاجا الى أحد ، لايمكنك ان تلتقى بأحد لا يحتاج شيئا ، انك دائما اما مساعد احدا أو مساعد من احد ، لا يمكن لك ان تنعزل .

والآن ايها الدب .. لابد من عمل شيء قبل أن تقع كارثة فظيعة ومرعبة .

على حين فجأة توقفت سيارة صغيرة وخرج السيد

دافير من داخلها ، استعرض الدب فى لا مبالاة دون أن يبدو عليه أنه قد تأثر لمرآه .

والسيد دافير عالم ذائع الصيت ، انه يستعد لتقديم رسالته للدكتوراه بالجامعة ، هو فى حوالى الثامنة والعشرين وله زوجة وولدان .

خرجت زوجته من السيارة وجعلت تساعد طفليها على الخروج ، استعرض السيد دافير الدب وكما قلنا فانه لم ينفعل لا بالسخط ولا بالرضا .

ان انسانا يحصل على كل ما يريد فى سن الثامنة والعشرين لايمكن أن يتأثر بسهولة ، ساعد زوجته وهى تخرج من العربة وحمل عنها السلال ، لقد عاد هو والعائلة من نزهة مجنونة على شاطىء البحر ، نظروا جميعا الى الدب وكأن الامواج قد حملته وأتت به الى

هنا ، شىء عادى ، مسألة ذات وزن طبيعى ، خلع السيد دافير هوائى الراديو والقاه داخل السيارة ، انه يفعل هذا دائما ، فالاولاد يخربون كل شىء ، يخلعون هوائيات السيارات واغطية الكشافات ، انهم يفعلون هذا بدافع من الطيش وحده ، وهو أمر على نفس درجة السوء التى ينطوى عليها الدب .

اصعدوا الى أعلى ، سأتحدث معه ، قال السيد دافير لزوجته ، غير أن زوجته فضلت أن تراقب الدب امرأة لطيفة ، امرأة لطيفة تشعر بالخطر ، مدام دافير امرأة دقيقة الحجم .. معتدلة القامة .. شهية تنض

بالحنان ، راحت تنظر الى الدب بعينين واسعتين عسليتين ، ان الدب يحب العيون العسلية ، انه يحب النساء . ماذا ستقول له ؟ سألت مدام دافير زوجها ، أى انها تريد أن تعرف بماذا سيجيب الدب على زوجها .

ســأحاول تهدئته ، ان هــذا شارع هادىء .. وهو يخل بحركة المرور ، انه يقف وسط الطريق مزمجرا ، يحك جسده .. انظرى كيف يحك جسده ، انه مصاب بالهوس .

اسرعوا الى البيت يا أولاد ! قالت مدام دافير دون ان تتحرك من مكانها ، نظر اليها الدب فى استطلاع ، خطا السيد دافير تجاه الدب وخطا الدب تجاهه ، بعد قليل ستقع الـكارثة المحققة .
ماذا سيقول للدب ؟

ـ اسمع ! عليك بالهدوء ، ان هــذا شارع هادىء متعقل ، عد من حيث جئت ، خــذ قطعــة من الخبز وزجاجة من اللبن اذا كنت جائعا . ليس لك ما تبحث عنه هنا .

ـ حقا ؟ أجاب الدب مزمجرا .. حاحيه .. حيه ، ان لديك امرأة شهية ، اننى اشتهى اللهو بفخذ رجل ومداعبة ساقى صبية ، اننى واثق من أن لها ســاقين مديدتين ولطيفتين .

لم يتراجع الســيد دافير ، تراجعت زوجتــه وقد اكتسى وجهها بالزرقة وهى تتلفت حولها ، سمع بعض الاشخاص ما قاله الدب وسيشهدون فى صالحها عندما يحين الوقت لذلك ، ماذا سيفعل الدب بها ؟ انه غير انسانى .

لو احتضنها لحطم عظامها ، ولو قبلها لبعثر أسنانها ولو . . . ان دبا بهذه المقــاييس يمكنه ان يشرخها وكأنه رمح ، ان هذا غير انســانى ، انه لشىء فظيع ، ستموت المرأة ، سيشرخ رحمها ، سيمزق أمعاءها .. وباه .. سيكون الامر غير انســانى لو فعل بها شيئا من

هذا النوع ، خاصة بهذه المرأة .. فهي مرأة محترمة طاهرة وطيبة ، امرأة رائعة هادئة وذكية ، امرأة رقيقة ماذا سيفعل فيها .. وكيف ؟

جذب الدب ذراع السيد دافير وفصلها عن جسده ، القى اليد الى بعيد ثم هوى بلطمة على وجه السيد دافير انهار السيد دافير على الارض ولم يعد له وجود ، نظرت زوجته الى الدب وكان السيد دافير لم يكن له وجود قط .

***

يارب السماوات ، ان هـذا غير انساني ، ان لدي طفـلة فى الخامسـة وسترى ماذا يفعل الدب فى امرأة طيبة ، ان هـذا غير انسانى ، انه دب متوحش ذو مقاييس هائلة ، لقد قرات فى دائرة المعارف فى احدى المرات عن مقاييس الدب ، ان هذا موت محقق للمرأة فلينصرها الله .

فى خطوتين بسيطتين امسك الدب بها وجذبها الى ما بين ذراعيه وبحركة من يده مزق ما على جسدها من ملابس ، بديع ! اعنى فظيع ، امرأة بيضاء عارية كما ولدت بين ذراعى دب شيطانى غير انسانى ، انه سيفعل فيها الآن فعلا فظيعا ، سيقتلها ، انظروا ، يارب الارباب

ترك الدب المرأة .. فسقطت على اسفلت الشارع مغشيا عليها وساقاها مفروجتان على اتساعهما ، هذا كل شيء ، هل هى ميتة ؟ بدا ان الدب يشعر بالرضا ، لقد كانت هذه امرأة عالم طيبة ، غاية فى الطيبة ، عب الدب من زجاجــة الويسكى فى جوفه وبدا يخطو على منحدر الشارع ، لقد أقسم شخص انه سمعه يقول :

الآن انزل الى السفينة وأعود الى سيبيريا ، ان بعض

البرد لن يضيرني بعد هذا الحمام ، من يستطيع العيش فى مثل هذا الطقس الجنونى ؟ أنثى « مش بطالة » ، ميتة ، مثقوبة كالغربال .. عندما أوجه نظراتى الى امرأة يقضى عليها بالموت ، موت ناعم الى الشيطان ، من لا يريد ان يموت هكذا ؟ الله يساعدنى .. لا ضرورة للاستحمام ، ليست هناك قطرة دم ، ماذا ؟ هذه المرة لم أستحم فى الدماء ؟ ولكن كيف ؟

***

وهكذا لم تمت مدام دافير ، نهضت من مكانها ، كان وجهها مكتسيا بالزرقة وهى تعرج فى مشيتها ، اخذت وليدها واتجهت الى مدخل البيت .

رباه .. ان هذا غير انسانى .. هذا غير انسانى ، كيف هذا ؟

كانت طفلتى ابنة الخامسة واقفة ورأته كل شىء ، الآن تشوهت أفكارها عن الحياة ، لقد فقدت كل قدرة على تقدير معايير الاشياء ، ان هذا غير انسانى .

فهرس

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة ـ ص . ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا : THE ARABIC PUBLICATIONS
7, Biskopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND.

البرازيل : Sr. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406
Sao Paulo, BRASIL.



هذا الكتاب

اكتشفت الامة العربية بعد عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ ان العدو الصهيوني يعرف عنها كل شيء في مختلف المجالات والميادين ، وانها من الجانب الآخر لا تعرف شيئا واضحا عن هذا العدو . لقد كان العرب يظنون لفترة طويلة انهم يستطيعون هزيمة عدوهم بالتجاهل والاهمال ، وفي نفس الوقت كان العدو يدرس كل شيء عنا ، لانه يعرف ان هزيمة العرب لن تتم الا بدراستهم ومعرفتهم وكشف نقط الضعف فيهم ونقط القوة . وقد قامت الجامعة العبرية في اسرائيل بترجمة كثير من نماذج الادب العربي القديم والمعاصر ، كما نشرت ـ بالعبرية ـ ترجمة لتاريخ الجبرتي ، واهتمت هذه الجامعة نفسها بدراسة التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والنفسي للعرب .

وقد تنبهنا اخيرا لهذه القضية ، واصبح العقل العربي بعد ١٩٦٧ متلهفا لمعرفة عدوه . لان هذه المعرفة هي الطريق الى هزيمته والانتصار عليه ، ولذلك صدرت كتب عديدة عن المجتمع والانسان في اسرائيل . ولكن المكتبة العربية ماتزال خالية من النماذج والدراسات الكافية عن الأدب الاسرائيلي . وهذا الكتاب الجديد الذي تقدمه سلسلة « كتاب الهلال » هو محاولة في هذا الميدان ، فهو يتضمن دراسة للادب الاسرائيلي المعاصر ، كما يتضمن نماذج من الشعر الاسرائيلي والقصة الاسرائيلية ومن خلال هذه النماذج نستطيع ان نفهم الكثير من الواقع الاسرائيلي والنفسية الاسرائيلية ، فالادب دائما هو مفتاح لمعرفة الشعوب وهو تسجيل لواقعها وكشف حقيقي لما فيها من جوانب القوة والضعف . اما مؤلف الكتاب فهو احد الاساتذة والباحثين الشبان المتخصصين في قسم اللغات الشرقية بجامعة عين شمس .

١٠ قروش